إيبارشية المنيا وأبو قرقاص
للأقباط الأرثوذكس

دراما الصليب

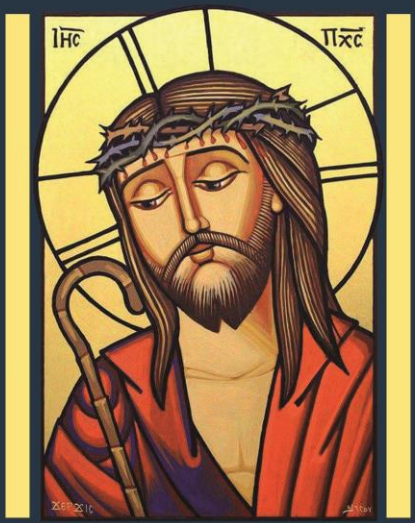

الجزء الثالث

مكاريوس
الأسقف العام

https://coptic-treasures.com

إيبارشية المنيا وأبو قرقاص
للأقباط الأرثوذكس

دراما الصلب

الجزء الثالث

دراسة حول:

الشخصيات والأماكن والأدوات

إعداد:
مكاريوس
الأسقف العام

https://coptic-treasures.com

اســـم الـكـتـاب: **دراما الصليب (الجزء الثالث)**

الـــمـــؤلـــف: **الأنبا مكاريوس، الأسقف العام.**

الـــنـــاشـــر: إيبارشية المنيا وأبوقرقاص للأقباط الأرثوذكس.

الـــطـــبـــعـــة: الأولى – مارس ٢٠١٧

الـــمـــطـــبـــعـــة: مطابع النوبار – العبور

الـــغـــلاف: القس بولا وليم

الـــعـــنـــاويـــن: مجدي لوندي

أيـقـونـة الـغـلاف والرسـوم الداخلية: الفنان/ جرجس سمير

التنسـيق الداخلي: عادل بخيت

رقـــم الإيـــداع: ٧٣٢٤ / ٢٠١٧

https://coptic-treasures.com

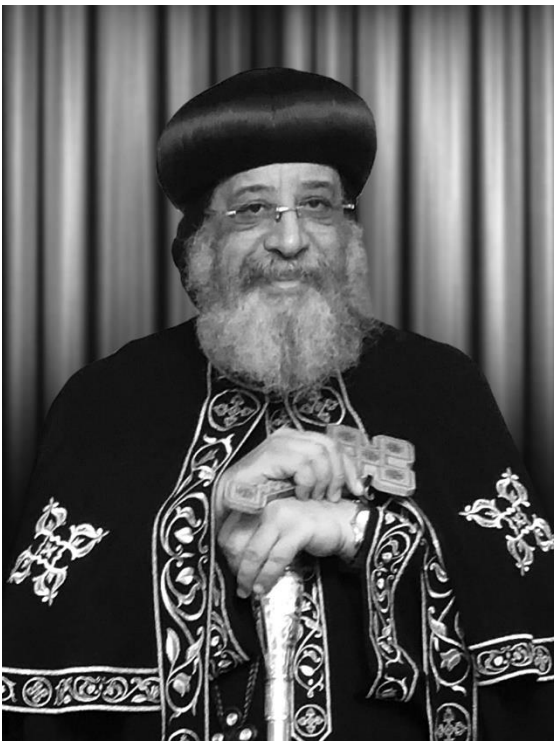

قداسة البابا الأنبا تواضروس الثاني

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية في مصر وسائر بلاد المهجر

https://coptic-treasures.com

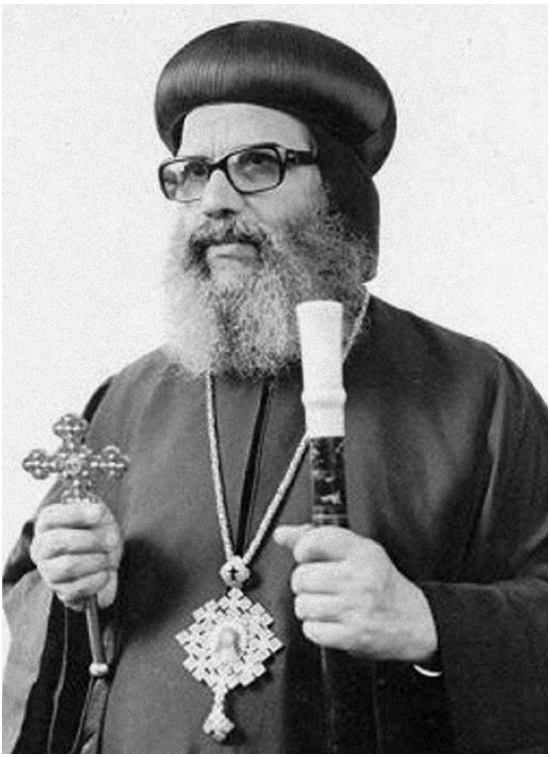

نيافة الأنبا أرسانيوس

مُطران المنيا وأبوقرقاص

https://coptic-treasures.com

مقدمة

هذا هو الجزء الثالث من مجموعة كتب "دراما الصلب"، وهي مجموعة من العظات القصيرة التي ألقيت في أسبوع الآلام على مدار سنوات بكنيسة الأنبا أنطونيوس بالمنيا، حيث تُقام صلاة الساعة الحادية عشرة منفصلة من جديد عند منتصف الليل، ليتمكن الذين لهم ظروف خاصة من الحضور والمشاركة في صلوات البسخة، حيث يشارك فيها ما يصل إلى الألف شخص.

وكانت فكرة هذه العظات منذ البداية أن تتناول التعليق على الشخصيات التي ظهرت خلال أسبوع الآلام بدءًا بسبت لعازر ثم دخول السيد المسيح أورشليم والقبض عليه وحتى قيامته من الأموات. وكذلك التعليق على بعض المواضع والأشياء ذات الصلة، حتى يمكن للقارئ والمستمع أن يكونا أكثر تفاعلًا مع أحداث الصلب والقيامة، خلال مشاركتنا المسيح هذه الأيام والتي يتوافد أكثر الشعب فيها إلى الكنائس بفرح ووقار وجدية شديدة. وقد لاحظنا في السنوات الأخيرة أن عدد الذين يحضرون ولا سيما الأطفال قد ازداد بشكل ملفت، وربما ساعد في التفاعل وازدياد الوعي عمل الآباء الدؤوب، وانتشار كتب صلوات البسخة، وأمّا القنوات الفضائية فلم تأخذ المصلين بعيدًا عن الكنيسة، بل ترك أكثرهم الشاشات إلى خوارس الكنيسة.

لقد تقدس كل شيء لمسه السيد المسيح، سواء الأشخاص أو الأراضي أو الاشياء، حتى الأشخاص الأشرار الذين تعاملوا معه دخلوا التاريخ وإن كان

https://coptic-treasures.com

من باب الشـــر. فإن كان بإمكان الشـــخص أن يقدس مكانًا ما بســـبب برّه وقداســته، فكم بالأحرى السـيد المسـيح الكامل كمالًا مطلقًا والقدوس قداسـة مطلقة! إن الابرص لم يستطع أن ينجّسه بسبب برصه بل بالأحرى نال الشفاء بمجرد لمســه، وهكذا نازفة الدم، وهكذا المذود الحقير صـــار مشـــتهى قلب الجميع أن يتباركوا به، وهكذا السلسلة، وإكليل الشوك، وقبره الذي عوضًا عن رائحة الموت التي توقّع الكثيرون –ومنهم المجدلية– أن تنبعث منه، صـــار ينبعث منه نور لا يوصـف في كل عام في ذكرى القيامة المقدســة، ومن ثَمّ نرتل للقديسـين في أعيادهم لحن "**آبيكران A pekran**" وفيه نقول: "السـلام لقبرك الممتلئ نعمة، السـلام لجسـدك المقدس الذي نبع لنا منه شـفاء لكل الأمراض". ونحن وإن كنا نحتفظ بما استعمله القديسون في حياتهم لنتبارك به ونحتفظ به في حرص، مثل ثوب الليف الذي كان يلبسه القديس بولا ثم صار البابا اثناسـيوس الرسـولي يرتديه في الأعياد السـيدية، ويقول عنه جيروم إنه أغلى من كل كنوز الأرض، فكم بالأحرى ما تلامس معه الرب ووطئته أقدامه المقدســة؟! بل لقد تخضّــبت خشــبة الصــليب بدمه الأقدس، حتى أننا نقول "السلام لخشبة الصليب المحيية".

الرب قادر أن يسـتخدم هذه الصـفحات لمجد اسـمه القدوس، بصـلوات قداســـة البابا الأنبا تواضـــروس الثاني، بابا الإســـكندرية وبطريرك الكرازة المرقسـية، وشـريكه في الخدمة الرسـولية نيافة الأنبا أرسـانيوس، مطران المنيا وأبوقرقاص. وبركة الرب تشملنا في هذه الأيام المقدسة.

مكاريوس الأسقف العام

https://coptic-treasures.com

آلامُ المسيح وآلامنا

«مِنْ ثَمَّ كانَ يَنبَغي أنْ يُشبِهَ إخوَتَهُ في كُلِّ شَيءٍ، لكَيْ يكونَ رحيمًا، ورَئيسَ كهَنَةٍ أمينًا في ما للهِ حتَّى يُكَفِّرَ خطايا الشَّعبِ. لأنَّهُ في ما هو قد تألَّمَ مُجَرَّبًا يَقدِرُ أنْ يُعينَ المُجَرَّبينَ» (عبرانيين٢: ١٧،١٨).

يقول القديس بولس عن المسيح: «لأنَّهُ في ما هو قد تألَّمَ مُجَرَّبًا يَقدِرُ أنْ يُعينَ المُجَرَّبينَ»، وآلام المسيح كانت حقيقية وليست وهمية كما نادى البعض مثل الدوسيتيين، ومنهم أخذ البعض الآخر والذين قالوا: شُبِّه لهم. كما أن اتحاد اللاهوت بالناسوت لم يعفِ الناسوت من الألم بدليل قول الرب: «إلهي، إلهي، لماذا تركتَني؟». والسيد المسيح في فترة تجسده جاع كما ورد عنه في التجربة على الجبل، وعطش وقال على الصليب «أنا عَطشانُ»، ونام إذ وجده التلاميذ نائمًا في آخر السفينة، وغضب عندما رأى الهيكل قد تحول إلى مكان تجارة فصار مثل مغارة لصوص، وبكى عند قبر لعازر، ومثل أي إنسان تختلج فيه مشاعره اضطرب يسوع؛ عاش حياتنا، وعانى معاناتنا، وشابهنا في كل شيء ما خلا الخطية وحدها.

ومن ثَمّ يشعر بآلامنا، وبينما هو صور الآب (الصورة الجوهرية = مورفي – فيليبي٢) بيننا، فهو أيضًا ممثِّل لنا لدى الآب. ولعلنا – ونحن

https://coptic-treasures.com

نتحدث عن آلام المسيح وآلامنا – نتخيل منظر الصليب، والمسيح مُعلَّق بين السماء والأرض ليصالح الاثنين معًا من جهة، وليرى الآب البشر من خلاله، بينما نرى نحن الآب من خلاله كوسيط بيننا.

إن المسيح لا يُسَر بآلامنا ودموعنا وسجودنا، ولا يطلب المزيد ليرضى عنا، وليس كما يظن البعض أنه يُسرُّ بإذلالنا، وإنما يثمّن ذلك ويقدّره، ويحفظ دموعنا في زِقٍّ عنده. إن الطفل المتألم يدمي عيني وقلب أبيه، حتى لو كان الألم ناتج عدم الطاعة له، فهو ابنه في النهاية، ورغم مخالفته لوصايا أبيه وما نتج عنها من معاناة وألم، فإن الأب يتألم مع ابنه بل يتألم أحيانًا بدلًا منه. ونظرة سريعة على مثل "الابن الضال" وكيف التقاه أبوه، تجعلنا نكتشف موقف الله من البشر، فإن مثل الابن الضال هو قصة البشرية التي انفصلت عن الله وبدأت بالتجارة بمفردها رافضة شراكته، ومن ثَمّ خسرت التجارة وتجرّحت وسخر منها الأعداء، ومن هنا سعى الله في إصلاحها متألمًا عنها حتى شُفِيت بجراحاته: «وهو مَجروحٌ لأجلِ مَعاصينا، مَسحوقٌ لأجلِ آثامِنا. تأديبُ سلامِنا علَيهِ، وبحُبُرِهِ شُفينا» (إشعياء٥٣:٥).

ويقول إشعياء النبي: «في كُلِّ ضيقِهِمْ تضايَقَ، ومَلاكُ حَضرَتِهِ خَلَّصَهُمْ. بمَحَبَّتِهِ ورأفَتِهِ هو فكَّهُمْ ورَفَعَهُمْ وحَمَلَهُمْ كُلَّ الأيّامِ القَديمَةِ» (إشعياء٦٣:٩)، أي أن الله يشاركنا آلامنا، ويدافع عنا، ويبكّت لأجلنا «فلَمْ يَدَعْ إنسانًا يَظلِمُهُمْ، بل وبَّخَ مُلوكًا مِنْ أجلِهِمْ، قائلًا: لا تمَسّوا مُسَحائي، ولا تُسيئوا إلَى أنبيائي» (مزمور١٠٥:١٤،١٥)، فبالرغم من أن

https://coptic-treasures.com

أبانا إبراهيم كذب على فرعون إلّا أن الله دافع عنه، وكذلك إسحق، وكذلك يعقوب دافع عنه أمام لابان ومنعه من أذيته.

وفي دراستنا لمثل السامري الصالح، حيث شُبِّه السامري الصالح بالمسيح، نجده قام بتضميد جراح الإنسان الذي وقع بين اللصوص «فتقَدَّمَ وضَمَدَ جِراحاتِهِ، وصَبَّ علَيها زَيتًا وخمرًا، وأركَبَهُ علَى دابَّتِهِ، وأتَى بِهِ إلَى فُندُقٍ واعتَنَى بِهِ» (لوقا١٠: ٣٤)، هكذا البشرية التي تجرّحت بالآلام من اللصوص الشياطين تحنن عليها السيد المسيح وداوى جراحاتها، ولم يزل مهتمًا حتى تم الشفاء من خلال الفندق (الكنيسة).

ومن بين الصور الجميلة في هذا الشأن أيضًا هي صورة الراعي وهو يحمل خروفه على منكبيه، وكان قد سقط في وهدة بين الصخور والأشواك، فنزل إليه وحمله وعاد به فرحًا. وفي المتحف اليوناني–الروماني بالإسكندرية يوجد تمثال للراعي الصالح وهو يحمل خروفًا ضعف حجمه، واسموا اللوحة "ثِقَل التجديد"، أي الثمن الثقيل الذي توجب على الراعي أن يدفعه لقاء إعادة الحياة من جديد لخروفه الذي ضلّ.

وصورة أخرى لاشتراك الله في آلامنا ألا وهي النير، فقد قال: «اِحمِلوا نيري علَيكُمْ وتَعَلَّموا مِنّي.. لأنَّ نيري هَيِّنٌ وحِملي خَفيفٌ» (مت١١: ٢٩، ٣٠). فمن جهة خفّة النير فإنه اذا اشترك اثنان في نير واحد، أحدهما قوي والآخر ضعيف، فإن الحمل كله يقع على القوي، بينما يكون للضعيف

https://coptic-treasures.com

شـــرف الاشـــتراك فقط، أو بمعنى آخر: الله لا يتركنا تحت النير بمفردنا، ونقول في إبصالية الأحد: "حلو هو نيرك، وحملك خفيف".

ولكننا قد تسـلمنا من الرب أن لا نهرب من الألم بل نُسَـر في الضـيقات، لقد عبّر الرب عن ذلك بقوله «يا أَبَتاهُ، إِنْ أَمكَنَ فلتَعبُرْ عَنّي هذِهِ الكأسُ، ولكن ليس كما أُرِيدُ أنا بل كما تُرِيدُ أنتَ» (متى٢٦:٣٩). وقيل عن الرسل إنهم خرجوا فرحين لانهم حُسِبوا مُستأهَلين أن يتألموا لاجل اسـم الرب (أعمال٥:٤١)، وصـار الألم مَثَله مَثَل الأوسـمة، ومثلما يفتخر الجندي بالجراحات التي في جسـده كعلامة شـجاعة وجندية واشـتراك في معارك، وصـارت له هذه علامة خبرة وشجاعة. أتذكر أن الحارث بن كعب شـهيد نجران كشـف عن صـدره للملك ليريه كم جرحته السـهام في الحروب وأنه لم يكن جبانًا بل رجل حرب.

وعندما قال القديس الأنبا بولا: "من يهرب من الضـيقة يهرب من الله"، كان يقصـد يهرب من التشبُّه بالرب الذي تألم بسـرور لأجلنا، وكذلك يهرب من البركة التي يهبها الله من خلال الألم.

والقديس بولس الرسـول لا يقبل الألم ويُسَـر به فقط، وإنما لم يكفه ذلك بل اشـتهى أن يتألم كما تألم المسـيح، وليس جزءًا يسـيرًا فقط «الّذي الآنَ أفرَحُ في آلامي لأجلِكُمْ، وأُكَمِّلُ نَقائصَ شَدائدِ المَسيحِ في جِسمي لأجلِ جَسَدِهِ، الّذي هو الكَنيسَةُ» (كولوسي١:٢٤). ونحن علينا أن نستخفّ بما يواجهنا من آلام متذكرين

https://coptic-treasures.com

آلام المسيح لأجلنا، وهكذا نشاركه آلامه إذ نتألم ونُعيَّر لأجل اسم الذي دُعِي علينا. ففي كل مرة نُشتَم لأننا مسيحيين، نتذكر أن المسيح نفسه شُتِم وعُيِّر لأجلنا واحتمل الخزي والعار «ناظِرِينَ إِلَى رَئِيسِ الإِيمانِ ومُكَمِّلِهِ يَسوعَ، الَّذي مِنْ أجلِ السُّرورِ المَوْضوعِ أمامَهُ، احتَمَلَ الصَّليبَ مُستَهينًا بالخِزيِ، فجَلَسَ في يَمينِ عَرشِ اللهِ» (عبرانيين١٢: ٢).

نقطة أخرى في هذا الأمر وهي مشاركة الآخرين في آلامهم، وأن نعتبر آلام الناس هي آلامنا، نقاسمهم معاناتهم، بكاءً مع الباكين، نرثي لضعفهم. ولعله من بركات الألم سواء الناتج عن المرض أو الظلم أو الخسارة، أن يجعلنا نشعر بآلام الآخرين ونرثي لضعفهم، كما حدث ذات مرة أن قسى شيخ على راهب حديث الخبرة، فما كان من الله إلّا أنه سمح للشيخ أن يجتاز التجربة ذاتها ليُجرِّب في شيخوخته ما لم يجرِّبه في شبابه. لذلك ينصح الآباء بأن يكون المدبِّر الروحي قد اجتاز الكثير من الخبرات والتجارب، ومن ثَمّ لا يعطي أمرًا أو تدبيرًا لا يحياه بالفعل، أو على الأقل لم يجتزه أو يختبره في وقت من الأوقات، حتى يشعر بالصغار والضعفاء والمبتدئين.

وعلينا أن نرثي لضعف الناس بشكل عام، ولا نطلق ألسنتنا عليهم بكل جيد ورديء، بل لنصلِّ عنهم ونتعاطف معهم ونردِّد إننا جميعًا تحت الآلام ومُعرَّضون للتجارب والأمراض والضيقات، وبذلك ينطبق علينا كبشر أيضا «لأَنَّهُ في ما هو قد تألَّمَ مُجَرَّبًا يَقدِرُ أنْ يُعينَ المُجَرَّبينَ».

https://coptic-treasures.com

إن كنّا نتألّم معهُ.. فلكي نتمجّد معهُ أيضًا

يقول القديس بولس «مع المَسيحِ صُلِبتُ، فأحيا لا أنا، بل المَسيحُ يَحيا فيَّ» (غلاطية٢: ٢٠)، أي أن الحياة التي أحياها الآن هي حياة المسيح، لأنه مات عني. تقول القص ة الجميلة إن أحد الآباء قبل الموت نيابة عن ابنه، وبينما كان يسير في الطريق نحو الموت، أخذ ابنه على ناحية وطلب اليه أن يحيا حياة مقدسة، لأن الحياة التي سيحياها من الآن تخصّ أباه، ومن ثَمّ يجب أن يحياها كما كان سيحياها هو.

نحن لم نتألم مع المسيح ولم نُص لّب معه ولم نشترك في الفداء، ولكنه جاز المعصرة وحده «قد دُستُ المِعصَرَةَ وحدي، ومِنَ الشُّعوبِ لَمْ يَكُنْ مَعي أحَدٌ» (إشعياء٦٣: ٤)، ولكننا نتألم لأجل آلامه عنّا، نخجل منه ونعتذر له، بسبب شعورنا بأن كل ما يجري عليه هو بسببنا وكان استحقاقنا نحن. ولكن المسيح من جهته حمل آلامنا وأوجاعنا: «لكن أحزانَنا حَمَلها، وأوجاعَنا تحَمَّلها. ونَحنُ حَسِبناهُ مُصابًا مَضروبًا مِنَ اللهِ ومَذلولًا» (إشعياء٥٣: ٤).

ولكننا نُصلَب مع المسيح من خلال الموت في المعمودية «فدُفِنّا معهُ بالمَعموديَّةِ للموتِ، حتَّى كما أُقيمَ المَسيحُ مِنَ الأمواتِ، بمَجدِ الآبِ، هكذا

https://coptic-treasures.com

نَسلُكُ نَحنُ أيضًا في جِدَّةِ الحياةِ» (رومية٦:٤)، وكذلك من خلال صلب الجسد والأهواء والشهوات، فالصليب كان فيه علامة إلغاء المشيئة والأنا.

نشترك في الآلام، عندما نحمل صليب العار، فقد حوّل المسيح العار واللعنة إلى بركة وفخر «حاشا لي أنْ أفتَخِرَ إلّا بصَليبِ رَبّنا يَسوعَ المَسيحِ...» (غلاطية٦:١٤)، نفخر بذلك لأنه صار لعنة لأجلنا لينقذنا نحن من اللعنة التي جاءت على جنسنا، ونفرح ونفتخر إذا عُيِّرنا من أجله، وإذا احتملنا بشكر بل بفخر كل ما يأتي علينا بسبب كوننا مسيحيين، فهو اشتراك في الصليب. إن خسرنا شيئًا من أجل المسيح، أو ظُلِمنا أو خُطِفنا أو تعدّوا على ممتلكاتنا بسبب كوننا مسيحيين، فهذا اشتراك في آلام المسيح، سلب الأموال بفرح يُحسب اشتراكًا مع المسيح في آلامه وصليبه.

تعبنا وبذلنا لأجل الفقراء الذين هم إخوته، هو اشتراك مع المسيح في آلامه، قهو القائل «الحَقَّ أقولُ لكُمْ: بما أنَّكُمْ فعَلتُموهُ بأحَدِ إخوَتي هؤُلاءِ الأصاغِرِ، فبي فعَلتُمْ» (متى٢٥:٤٠)، لذلك تُسمّى خدمة السجون: "خدمة يسوع السجين"، والمرضى: "المسيح المتألم"، وخدمة ذوي الاحتياجات الخاصة: "خدمة المسيح الفرحان".. الخ.

وجهٌ آخر من أوجه التألم مع المسيح هو مسامحة المسيئين إلينا: «فالبَسوا كمُختاري اللهِ القِدّيسينَ المَحبوبينَ أحشاءَ رأفاتٍ، ولُطفًا، وتَواضُعًا، ووداعَةً، وطولَ أناةٍ، مُحتَمِلينَ بَعضُكُمْ بَعضًا، ومُسامِحينَ بَعضُكُمْ بَعضًا.

https://coptic-treasures.com

إنْ كانَ لأحَدٍ علَى أحَدٍ شَكوَى، كما غَفَرَ لكُمُ المَسيحُ هكذا أنتُمْ أيضًا» (كو٣: ١٢، ١٣).

كذلك الإنسان العتيق يجب أن نجاهد في التخلص منه يومًا فيومًا بالصليب، العتيق قد صُلِبَ معه، ليُبطَل جسدُ الخطية كي لا يعود بعد يُستعبَد أيضًا للخطية، وهكذا فلم يَعُدْ هو الحيُّ بعد، بل المسيح هو الذي يحيا فيه. هذا الإيمان عينه يريد أن يُرسِّخه بولس الرسول في قلوبنا بقوله: «كذلكَ أنتُمْ أيضًا احسِبوا أنفُسَكُمْ أمواتًا عن الخَطيَّةِ، ولكن أحياءً للهِ بالمَسيحِ يَسوعَ رَبِّنا. إذًا لا تملِكَنَّ الخَطيَّةُ في جَسَدِكُمُ المائتِ لكَيْ تُطيعوها في شَهَواتِهِ، ولا تُقَدِّموا أعضاءَكُمْ آلاتِ إثمٍ للخَطيَّةِ، بل قَدِّموا ذَواتِكُمْ للهِ كأحياءٍ مِنَ الأمواتِ وأعضاءَكُمْ آلاتِ برٍّ للهِ. فإنَّ الخَطيَّةَ لن تسودَكُمْ، لأنَّكُمْ لَستُمْ تحتَ النّاموسِ بل تحتَ النِّعمَةِ» (رومية٦: ١١-١٤).

كثيرٌ من الشعوب يحقّ لهم أن يُحسَبوا من المعترفين، بسبب ما يلاقونه من اضطهاد متنوع، في الشارع ووسائل المواصلات، والمدارس والكليات والعمل، وما نسمعه في مكبرات الصوت وعلى بعض القنوات، والعبارات المسيئة والاضطهاد العلني واستنكار وجودنا وإنكار حقوقنا في مؤسسات كثيرة.

كل ذلك يجعل بقاء المسيحية المعجزة الكبرى بحق، الكنائس الملآنة بالمصلين، التمسك بالإيمان وعدم المساومة عليه، وحتى الذين يقدمون على ترك المسيح لأسباب لا تمت للعقيدة بصلة، ما هي إلا أيام أو أسابيع حتى

https://coptic-treasures.com

يتذكرون أن المســيح مات لأجلنا، فكيف ننكره وكيف نتركه ونبيعه؟! وعندما نتناقش مع المتشــكِّكين في الإيمان من قِبَل آخرين يكون العمود الفقري في النقاش هو موت المسيح مصلوبًا عنا، كيف ننكره ونستخف بآلامه؟

إن صورة المسيح المتألم لأجلنا ألهبت خيال الأدباء والشعراء والمثّالين والرسامين، وأعطت القوة للمبشرين بموت الرب، فإن المعجزة الحقيقية ليست في قيامة الرب لأنه لابد وأن يقوم ولا يمكن للموت أن يمسكه، ولكن أن يقبل الصلب هذه هي المعجزة.

وفي إحدى صوات القِسَم نقول:

"ما هذا أيها الفادي؟ ما الذي جعلك ترضـــي بذلك؟ أيُهان العظيم؟ أيُذَلّ المُمجَّد؟ أيُوضـــع المرتفع؟! يا لِعِظَم حُبك! نعم هو حُبك العظيم الذي جعلك تقبل احتمال كل ذلك العذاب من أجلي. أشــكرك يا إلهي وتشــكرك عني ملائكتك وخليقتك جميعًا، لأني عاجز عن القيام بحمدك كما يســتحق حُبك. فهل رأينا حبًا أعظم من هذا؟ فاحزني يا نفســي على خطاياكِ التي ســبّبت لفاديكِ الحنون هذه الآلام. ارســمي جرحه أمامك واحتمي فيه عندما يهيج عليك العدو."

«عالمين هذا: أنَّ إنســاننا العتيق قد صُــلِبَ معه ليُبطَل جســد الخطية، كي لا نعود نُســتعبَد أيضًــا للخطية. لأن الذي مات قد تبرَّأ من الخطية. فإن كُنَّا قد مُتنا مع المسيح، نؤمن أننا سنحيا أيضًــا معه... كذلك أنتم أيضًــا احسبوا أنفسكم أمواتًا عن الخطية، ولكن أحياء لله بالمسيح يسوع ربنا» (رو٦:٦-٨، ١١).

في النهاية فلنحمل صليب المسيح بفرح أينما توجهنا كارزين بموته وقيامته.

https://coptic-treasures.com

التبعيّات المرفوضة

«اتبَعني أنتَ!» (يوحنا ٢١: ٢٢)

لا تظنوا أن دعوة المسيح للبعض واستجابتهم جاءت بمجرّد نطق الكلمة: "اتبعنئ" فقط، صحيح أن الكلمة نفسها وهي خارجة من فم الرب تحمل قوة كبيرة ونعمة، ويصعب مقاومتها، ولكن من المحتمل جدًا أن يكون قد سبقها سماع الشخص للرب من قبل، أو سمع عن تعليمه ومعجزاته، وقد تكون الدعوة قد أتت بعد المكوث فترة معه، لاسيما ونحن نقرأ أن جموعًا كثيرة كانت تتبعه، غير أنه كانت تحدث غربلة لتلك الأعداد الكبيرة: «وتَبِعَهُ جَمعٌ كثيرٌ لأنَّهُمْ أبصَروا آياتِهِ الّتي كانَ يَصنَعُها في المَرضَى» (يوحنا ٦: ٢).

شروط التبعية للمسيح:

وضع الرب شروطًا لتبعيته والتلمذة عليه، مثل حمل الصليب بفرح، وترك كل شيء مثل الأهل والممتلكات والكرامة الزمنية: «إنْ كانَ أحَدٌ يأتي إلَيَّ ولا يُبغِضُ أباهُ وأُمَّهُ وامرأتَهُ وأولادَهُ وإخوَتَهُ وأخَواتِهِ، حتَّى نَفسَهُ أيضًا، فلا يَقدِرُ أنْ يكونَ لي تِلميذًا. ومَنْ لا يَحمِلُ صَليبَهُ ويأتي ورائي فلا يَقدِرُ أنْ يكونَ لي تِلميذًا» (لوقا ١٤: ٢٦، ٢٧)، وكذلك عدم الالتفات الى الخلف:

https://coptic-treasures.com

«ليس أَحَدٌ يَضَعُ يَدَهُ علَى المِحراثِ ويَنظُرُ إلَى الوَراءِ يَصلُحُ لملكوتِ اللهِ» (لوقا٩: ٦٢).

وبخصوص التبعية هناك ستة أنواع من التبعية للسيد المسيح:

١- تابعون صادقون وأمناء إلى المنتهى.

٢- مدعوون رفضوا التبعية منذ البداية.

٣- تابعون تبعوا، وما يزال قلبهم غير كامل.

٤- تابعون تبعوا آملين في مكافأة زمنية.

٥- تابعون تبعوه ثم تراجعوا لاحقًا (مثل اليهود الذين تراجعوا عند الحديث عن الجسد والدم).

٦- تابعون شكليًا، وهم بعيدون وجاحدون عمليًا.

الفريق الأول: تابعون صادقون وأمناء إلى المنتهى:

مثل التلاميذ والرسل الذين أطاعوا وتركوا كل شيء، ولم يكونوا جميعهم فقراء، فمنهم الأغنياء مثل يوحنا ويعقوب. وفي التاريخ الكنسي تبعه ملوك كثيرون وملكات كثيران، ومليونيرات، ومشاهير، وعظماء، وحُكّام، وضُبّاط، وقوّاد مئات. ومن هؤلاء أيضًا مريم المجدلية وغيرها اللائي أنفقن على الرب من أموالهن، هؤلاء الذين تبعوا الرب بصدق أكملوا معه حتى الموت، وعيّدوا معه في الفردوس، لقد ثبّتوا أعينهم على الهدف

https://coptic-treasures.com

وكان هدفهم الرب نفســـه وليس المكافأة أو التباهي أو الكرامة الزمنية، فالبعض اتخذوا من الخدمة كرامة وشـــهرة ومجدًا لم يكونوا ليحققوه بعيدًا عنها، وما حبهم في الخدمة إلاّ حبًا لذواتهم.

الفريق الثاني: مدعوون رفضوا التبعية منذ البداية:

هذا النوع كان واضـــحًا ورفض الدعوة منذ البداية، مثل الشـــاب الغني الذي رفض تبعية المســـيح لأنه كان ذا أموال كثيرة، وهكذا فقد أورثه الغني الهم وحرمه من الملكوت. كذلك اليهود الذين طاردوه ولم يقبلوا كلامه، بل قاوموه وأسلموه حسدًا. وقد دعا السيد المسيح كثيرين وبالطبع لم يستجب إلاّ البعض: «وفيما هُم سائرونَ في الطريقِ قالَ لهُ واحِدٌ: «يا سيِّدُ، أتبَعُكَ أينما تمضي». فقالَ لهُ يَسوعُ: «للثَّعالِبِ أوجِرَةٌ، ولِطُيورِ السماءِ أوكارٌ، وأمّا ابنُ الإنسانِ فليس لهُ أين يُسنِدُ رأسَهُ». وقالَ لآخَرَ: «اتبَعني». فقالَ: «يا سيِّدُ، ائذَنْ لي أنْ أمضيَ أوَّلًا وأدفِنَ أبي». فقالَ لهُ يَسوعُ: «دَعِ الموتَى يَدفِنونَ موتاهُمْ، وأمّا أنتَ فاذهَبْ ونادِ بملكوتِ اللهِ». وقالَ آخَرُ أيضًا: «أتبَعُكَ يا سيِّدُ، ولكن ائذَنْ لي أوَّلًا أنْ أوَدِّعَ الّذينَ في بَيتي». فقالَ لهُ يَسوعُ: «ليس أحَدٌ يَضَعُ يَدَهُ علَى المِحراثِ ويَنظُرُ إلَى الوَراءِ يَصلُحُ لملكوتِ اللهِ».» (لوقا٩:٥٧-٦٢). كما نقرأ في مثل العُرس أن البعض اعتذروا عن الحضور مما أثار غضب صاحب العرس (لوقا١٤:١٥-٢٤).

https://coptic-treasures.com

وفي يوحنا ٨ نقرأ عن نوعين من اليهود الذين آمنوا بالسيد المسيح، النوع الأول آمنوا به قلبيًا وقبلوه كإله ومخلِّص، والنوع الثاني قبلوه على مستوى العقل فقط إذ أعجبهم كلامه، ولذلك فإن النوع الثاني ناهض المسيح وحاول رجمه بالحجارة: «وبَينَما هو يتَكلَّمُ بهذا آمَنَ بهِ كثيرونَ. فقالَ يَسوعُ لليَهودِ الّذينَ آمَنوا بهِ: «إنَّكُمْ إنْ ثَبَتُّمْ في كلامي فبالحَقيقَةِ تكونونَ تلاميذي، وتَعرِفونَ الحَقَّ، والحَقُّ يُحَرِّرُكُمْ».» (يوحنا٨: ٣٠-٣٢، ٥٩).

الفريق الثالث: تابعون تبعوا، ولكن ليس بكل قلوبهم:

وهو الفريق الذي تبع ولكن قلبه لم يكن كاملًا، مثل حنانيا وسفيرة الذيْن قبلا الدعوة ولكن ثقتهم لم تكن كاملة فأخفوا جزءًا من المال تحسُّبا (أعمال٥: ١-١١)، عن مثل هؤلاء يقول القديس بولس: «ليس أحَدٌ وهو يتَجَنَّدُ يَرتَبِكُ بأعمالِ الحياةِ لكَيْ يُرضيَ مَنْ جَنَّدَهُ» (٢تيموثاوس٢: ٤)؛ والشماس الذي يحمل طفله في الهيكل ويتحدّث مع آخرين، والخادم الذي تكرّس أو رُسِم كاهنًا ولكنه ما يزال يدير عملًا سابقًا، ونيقوديموس الذي أتى ليلًا إلى يسوع بسبب الخوف من اليهود، وفي السنهدريم لم يستطع أن يقدم إلاّ شهادة متردّدة وعلى استحياء (يوحنا٧: ٥١)، وقد علّق القديس يوحنا على ذلك قائلًا: «ولكن مع ذلكَ آمَنَ بهِ كثيرونَ مِنَ الرّؤَساءِ أيضًا، غَيرَ أنهُم لسَبَبِ الفَرّيسيّينَ لَمْ يَعتَرِفوا بهِ، لئَلّا يَصيروا خارِجَ المَجمَعِ، لأنَّهُمْ أحَبّوا مَجدَ النّاسِ أكثَرَ مِنْ مَجدِ اللهِ» (يوحنا١٢: ٤٢، ٤٣)، ولم يظهر

https://coptic-treasures.com

نيقوديموس على المسرح إلاّ عند دفن المسيح، ومثله يوسف الرامي والذي كان مشيرًا وفي الغالب عضوًا في السنهدريم أيضًا.

الفريق الرابع: تابعون تبعوا آملين في مكافأة زمنية:

هم الذين أملوا الحصول على مكاسب من التبعية، مثلما قال القديس بطرس للسيد المسيح عقب رفض الشاب الغني للدعوة: «ها نَحنُ قد تَرَكنا كُلَّ شَيءٍ وتَبِعناكَ» (مرقس١٠:٢٨)، وكأنه يسأله: ماذا عساك أن تكافئنا به؟ فنحن لم نفعل كما فعل ذاك! وردّ الرب بحسم إن كل من ترك شيئًا لأجله فإنه يُكافَأ هنا وهناك، ولنا في الأنبا أنطونيوس مثالًا لذلك: فقد ترك بلدته و٣٠٠ فدان، ولكن الرب كافأه بأولاد لا حصر لهم، وكذلك كنائس وأديرة على اسمه. كذلك أمل يوحنا ويعقوب في مُلك أرضي، وأرادوا حجز الوزارات السيادية اليمين واليسار، وقد عاتبهم الرب بأن الذي يخدم هو الأفضل وأنه أعطاهم ذاته مثالًا حين غسل أقدامهم، وأن مملكته ليست من هذا العالم. كذلك اليهود الذي ظنوه ملكًا أرضيًا، فحين أشبع الجموع حاولوا المناداة به ملكًا أرضيًا على غرار ما كانوا يفعلون في العهد القديم، ولكن الرب انصرف من هناك. ومثلهم الذين يطمعون في الرتب الكنسية وغيرهم.

الفريق الخامس: تابعون تبعوه ثم تراجعوا لاحقًا:

إنهم الذين تحمّسوا في البداية ثم تراجعوا وتركوا المسيح لاحقًا، مثل يهوذا الإسخريوطي الذي قبل الدعوة وعاش مع المسيح ولكنه تراجع وخانه

https://coptic-treasures.com

خيانة، ومثل ديماس تلميذ القديس بولس والذي قال عنه إنه تركه إذ أحب العالم الحاضر، وآخرين ذكرهم باكيًا، والذين صدّهم عائق، ونيقولاوس أحد الشمامسة السبعة، والذي تحوّل إلى هرطوقي صاحب بدعة النيقولاويين المُشار إليها في رؤيا ٢، وغيرهم في التاريخ الكنسي الذين آمنوا ولكنهم بسبب الاضطهاد أنكروا المسيح.

الفريق السادس: تابعون شكليًا وهم بعيدون وجاحدون عمليًا:

وهذا نوع يستحق الشفقة، فقد تبع ثم تراجع، ولكنه تراجع قلبيًا بينما هو محتفظ بالإطار الخارجي للتلمذة، أي أن المسيرة قد توقّفت من الداخل بينما هي مستمرّة من الخارج، فصارت الخدمة شكلية، والكلام فاتر، وتراجعت العلاقة القلبية مع الله، وضعف التدبير الروحي و"شاخ مبكرًا"...

ولكن ومع وجود أنماط عديدة من التابعين، فإن الرب يعمل في الكل، ويريد أن يخلِّص على كل حال قومًا، والخادم الناجح تعلّم من الرب أن الكنيسة والخدمة هي مصيدة، ما أن يقع الإنسان فيها حتى يتذوّق ما لم يكن له به خبرة، فيتمسك بكل قوته بالرب.

فالبعض تبعوا المسيح عن غير قصد، أو بسوء القصد، ولكن هناك عوامل دفع وعوامل جذب؛ بعض الذين أتوا لم تكن أهدافهم روحية، ولكنهم تحوّلوا في الداخل وتغيّرت أهدافهم بعدما اجتذبتهم حلاوة الطريق، مثل القديس بولا البسيط، واللص التائب المذكور في سيرة الأنبا دانيال،

https://coptic-treasures.com

واللصوص الذين هاجموا الأنبا موسى الأسود وهكذا... ليس مهمًا ما الذي أتى به، ولكن كيف يكمل، ومن هنا تفتح الكنيسة أكثر من مجال للمخدومين: فالبعض عن طريق الرياضة، أو الكشافة، أو الكورال، أو المسرح والفن، أو العمل الإنشائي أوغيرها. ولاشك أن بعض الذين تبعوا المسيح ربما جاءوا ليروا ماذا يقول، أو لينبهروا بعمل معجزي، أو ليصطادوه فاصطادهم هو، ولم يتركوه بل مكثوا معه.

هؤلاء رفضهم المسيح:

السيد المسيح الذي قال: «مَنْ يُقبِلْ إلَيَّ لا أُخرِجهُ خارِجًا» (يوحنا٦: ٣٧)، هو نفسه طرد البعض إذ علم أنهم لم يأتوا إليه خصيصًا، جاءوا لا ليَخدموا بل ليُخدَموا، جاءوا ليبيعوا ويشتروا، جاءوا وليس عليهم ثياب العرس، وفي النهاية سمعوا: «اذهبوا عني».. ولقد تسلّمنا من الآباء أن الإنسان الذي لا يثمر في موضع، فإن الموضع نفسه يلفظه مثلما يلفظ البحر الجيف والقازورات. الذي لا يعطي الله كل شيء لا يستطيع أن يأتمنه على أي شيء، والذي لا يسلمه جميع المفاتيح لا يقدر أن يأتمنه ولا على أحدها!

https://coptic-treasures.com

السَّعَف والأغصان والشعانين

لدى الاقباط شغف لا يوصف بالخوص (السعف) لا سيما في أحد الشعانين، حيث يكاد لا يخلو بيت منه في تلك ا لمناسبة، وينتشر من ثَمّ باعة الخوص في الشوارع وينادون عليه مرتبطًا بالأقباط (قلبك يامسيحي.. قلبك أبيض)، مثل البلح في النيروز، والقصب في الغطاس وغيرها..

ويسهر الأقباط عادة في صنع قطع فنية من الخوص: الصلبان والحمير والخواتم والأكاليل والغويشات، وأكثر من ذلك ضفر الخوص حول الجريدة (ساق السعف) وعمل جيوب فيها لوضع القربانة، كما تُزيَّن الأغصان بالورود والرياحين وغيرها، ويندر أن يوجد قبطي يدخل الكنيسة دون الخوص. ولعل سبب حبهم فيه هو ظهوره مرتبطًا في الكتاب المقدس والتقليد بالاحتفالات المبهجة، لاسيما الشعانين والمظال واستقبال الملوك. وأمّا عن النخلة التي يؤخذ منها السعف، فهي أشجار تمتاز بالشموخ والزهو والثمار وطول الحياه ولون الحياة، كما تكون أغصانها في وضع الأيادي المرتفعة للصلاة، حتى شُبِّه الصدّيق بها: «الصِّدّيقُ كالنَّخلَةِ يَزهو، كالأرزِ في لُبنانَ يَنمو» (مزمور ٩٢:١٢)، بينما شُبِّه الأولاد في البيت كغروس الزيتون الجدد حول مائدة الأسرة: «بَنوكَ مِثلُ أغراسِ الزَّيتونِ حَوْلَ مائدَتِكَ» (مزمور ١٢٨:٣).

https://coptic-treasures.com

هذا ولم يكن سعف النخل يُستخدم وحده في مثل تلك المناسبات، وإنما أُستُخدِم معه أغصان الزيتون والآس وهو نبات عطر، وأغصان التين وغيرها...

موكب المسيح:

كان الشراح اليهود قد أعطوا تصورًا لدخول المسيا ظافرًا إلى أورشليم، حيث سيقف الكهنة والشعب على الأسوار لاستقباله، ويبدأ الموكب من جبل الزيتون إلى أورشليم حتى الهيكل، ويرافقه تسبيح الأنتيفونا (التسبيح التبادلي). ورسخت الصورة في الأذهان، ولذلك ما أن أُذيع أن المسيح قادم إلى أورشليم، حتى حدث هذا الانفجار الشعبي التلقائي، ولم يكن قصد الرب أن يحشد الشعب في هذه المناسبة لتأييده، ولكن الناس خرجوا وطرحوا ثيابهم تحت قدميه دلالة الخضوع ليملك عليهم، وكما دفعوا الكثير من الأغصان والورود، بل وبحسب التقليد فإن الأطفال انفسهم رفعوا أغصان الزيتون..

ولنا أن نتخيل أن أورشليم في ذلك الوقت كان بها ما لا يقل من مليونين من السائحين الحجاج، اشترك بالطبع منهم عدد كبير في هذا الاحتفال، وهم يلوّحون بآلاف الأغصان.

كان الاحتفال بعيد التجديد (١مكابين – يوحنا١٠) قد أُستُخدِم فيه مثل ذلك حيث يرد أنهم رَفَعوا مَزاريقَ، وأغصانًا خضرًا وسعفًا (٢مكابيين١٠:

https://coptic-treasures.com

٧)، والمزاريق عبارة عن غصـــن من أي شـــجر ينتهي بنهاية مخروطية ويُلَف بأوراق اللبلاب والورود، والكروم. كذلك اُســـتُخدِم مثل ذلك في عيد المظال، حيث يرد في سـفر اللاويين: «وتأخُذونَ لأنفُسِـكُمْ في اليومِ الأوَّلِ ثَمَرَ أشجارٍ بَهِجَةٍ وسَعَفَ النَّخلِ وأغصانَ أشجارٍ غَبياءَ وصَفصافَ الوادي، وتَفرَحونَ أمامَ الرَّبِّ إلهِكُمْ سبعَةَ أيّامٍ» (لاويين٢٣: ٤٠).

وهكذا كان الاحتفال السـنوي بالمظال يتم بهذه الطريقة، واليوم السـابع منه يُسـمّى "يوم هوشـعنا"، وهو يقابل أحد الشـعانين هنا (شـعانين = هوشـعنا). وفي ذلك العيد وهذا اليوم تحديدًا كان اليهود يتخذون أغصـان زيتون تُسـمّى الأريزيون، يُصـنع العود من غصـن الزيتون أو الغار (الفل)، ويُلفُّ بالصـوف، وتتدلّى منه ثمار الفاكهة، وإلى جوار بقية الأغصـان التي ذُكِرت استخدموا فاكهة تُسمّى "هاوار" أو فاكهة الموسم.

حدث ذلك أيضًـــا في احتفال اليهود بالدخول في القلعة التي بجوار الهيكل وهي التي احتلها الوثنيون زمانًا، حيث دخلوا «بالحمد (التســـبيح) والسـعف والكنّارات (القيثارات) والصـنوج والعيدان والتسـابيح والأناشـيد» (١مكابيين١٣: ٥١).

وفي عصر المكابين أيضًا ظهرت عادة عمل هدايا تذكارية من سعف النخل حتى اُشتُهِرت، فتبادل ملوك السلوقيين مع رؤساء الكهنة هذه الهدايا، مثلما أهدى ســـمعان رئيس الكهنة مثل هذه الهدايا للملك ديمتريوس الثاني

https://coptic-treasures.com

(١مكابيين١٣:٢٦-٣٧)، وقد عُثِر لاحقًا على عملات معدنية ترجع إلى عصر سمعان المكابي مرسومًا عليها صورة السعفة.

ومن هنا جاء مصطلح السعفة Frond وشاع استخدامه، ويُقصَد به جريدة بها بعض السعفات وجميع ذلك من الذهب، وكانت تشير إلى الخير والسعادة، ومنها أهدى الملوك بعضًا ليُعلَّق في الهيكل أو يُحفَظ في الخزينة، مثلما كانوا يهدون عناقيد من العنب ورموزًا أخرى مثل الرمان والتين والزيتون.

وفي سفر الرؤيا يرى الآباء أن التحقيق النهائي لمشهد الشعانين سيتم في السماء، حيث سبق القديس يوحنا اللاهوتي فنقل له هذا الاحتفال الشعانيني «بَعدَ هذا نَظَرتُ وإذا جَمعٌ كثيرٌ لَمْ يَستَطِعْ أحَدٌ أنْ يَعُدَّهُ، مِنْ كُلِّ الأُمَمِ والقَبائلِ والشُّعوبِ والألسِنَةِ، واقِفونَ أمامَ العَرشِ وأمامَ الخَروفِ، مُتَسَربِلينَ بثيابٍ بيضٍ وفي أيديهِمْ سعَفُ النَّخلِ (رؤيا٧:٩).

ومن هنا نرى أن العلامة الراسخة في الوعي الباطن من الكتاب المقدس والتقليد والأدب الرؤيوي للنصرة هي سعف النخل. وعند الاحتفال بمردخاي، زُيّنت الشوارع بالرياحين أمام مردخاي (أستير ١٥:١٠)، وهو الاستقبال الملوكي الذي توقعه هامان لنفسه. ونقرأ كذلك عن "ياهو" وهو الملك الذي حالما سمع الشعب بمسحه ملكًا على إسرائيل حتى ألقوا ثيابهم تحته وقد هتفوا: "قد مَلَكَ ياهو"، ولا شك أن ذلك يرافقه رفع الأغصان

https://coptic-treasures.com

(٢ملوك٩:١٣). وهو الأمر الذي أراد اليهود ان يتمموه مع السيد المسيح عقب معجزة إشباع الجموع حيث اعتبروها معجزة مسيانية، كانوا ينوون إركابه على الحمارة والهتاف له ومعهم الأغصان قائلين:" قد مَلَكَ يسوع".

بل ربما كان في رفع اليد فيما يُسمّى "علامة النصر" إشارة إلى سعف النخل، لاسيما إذا علمنا أن كف اليد بالأصبع يُسمّى Palm، وهي نفس الكلمة التي تعني نخلة أو سعف.

وإن كان البعض يرى أن علامة V التي يكوّنها رفع أصبعين (السبابة والوسطى) هي فيكتور = بقطر = نصر، وهي مأخوذة من الحرف اليوناني (ن) وشكله ν وهو أول حرف في كلمة "ني كا= Nika" والتي تعني الغالب، وتقابلها في القبطية "بي اتشرو pisro"، وهما العبارتان اللتان كانتا توضعان تحت أيقونة الصليب.

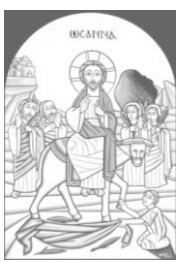

https://coptic-treasures.com

الصّيارفة في الهيكل

اعتاد كهنة الهيكل وقبل ثلاث ين يومًا من موعد الفصح، أن يمروا في الشوارع بما يشبه الأكشاك الصغيرة المتنقلة، وذلك لجمع ضريبة نصف الشاقل والتي يتوجب على كل شخص بالغ تسديدها للهيكل فدية عنه، أمّا الذي يتواجد في الهيكل فكان من المناسب أن يدفعها هو، كان كل إسرائيلي يدفع نصف الشاقل سواء كان غنيًا أو فقيرًا (خر ٣٠:١٢-١٦).

أمّا الآتين من بلاد غريبة ليحتفلوا بالفصح، فهم يحملون بالطبيعة عملات بلادهم، أي عملات أجنبية مثل قولنا الآن: اليورو، والاسترليني، والدولار، والجنيه، والدينار، والروبية، والريال، الخ، ولم تكن تلك العملات تُقبَل في الهيكل بسبب أنها ليست مقدسة، فهي استخدام الأمم وعليها صور ورموز وكتابة وثنية، ومن ثَمّ يلزم أن تُستبدل بالعملة المُستخدمة داخل الهيكل وهي "شاقل القدس"، ليتسنّى للزائر أن يسدّد الضريبة أو يتمكن من شراء الذبائح ودفع التبرعات والنذور وغيرها، فما هو شاقل القدس؟

شاقل القدس:

«كُلُّ تقويمِكَ يكونُ علَى شاقِلِ المَقدِسِ» (لا٢٧:٢٥).

والمقصود بالتقويم هو المعيار والمقياس، وشاقل (من شقل) أي وزن، وهو يساوي ضعف الشاقل العادي، كما أنه مصكوك يهوديًا بمعرفة اليهود

https://coptic-treasures.com

أي مقدس.. جدير بالذكر أن الشاقل يشير إلى السيد المسيح وكلمته المقدسة، والتي يزن بها الإنسان نفسه وأعماله.

ولكن كيف وُجد الصيارفة داخل الهيكل؟

يرد في التلمود أن الرابي "بابها من بوطا" هو أول من ادخل ٣٠٠٠ من "أغنام قيدار" إلى جبل البيت (رواق الأمم) ثم قلّده آخرون، وهكذا انتشر الباعة في ذلك المكان مع الصيارفة.

كان الشخص يبدّل عُملته في أماكن صرافة في المدينة قبل أن يدخل الهيكل، وكذلك يشتري ذبيحة سليمة يأتي بها، ولكن اشتراطات الكهنة كانت ثقيلة على الشعب، ثم بدأ رؤساء الكهنة في تربية قطعان في حظائر خارج الهيكل ليسهل على المشتري الحصول على ذبيحة سليمة يقبل بها الكهنة باعتبارها مستوفاة الشروط ومن مصدر معتمد! إذ صار مع الوقت كان يكفي مقدم الذبيحة أن يحمل ما يثبت أنه اشترى الحيوان من المكان التابع لرؤساء الكهنة ومن ثَمّ تُقبَل ذبيحته دون فحص، بل الأكثر من ذلك أنه قد مُنِع مع الوقت أيّة ذبائح من مصدر آخر.

وهكذا اصطفّ في رواق الأمم قطعان من البقر والغنم والحمام، مع الصيارفة الذين كانوا يجلسون أمام مناضد ترتفع قبة فوقها على أربعة أعمدة، وتُرصّ فوق المنضدة أعمدة من العملات المعدنية، وقد دأبوا على مساومة الحجاج وعيونهم تلمع بالطمع، كانت أرباحهم تتراوح ما بين ٥ إلى ١٢% ممّا يبدلونه، بل كانوا يبيعون في السوق السوداء العملات الهيكلية.

https://coptic-treasures.com

واُشتُهِر أبناء حنانيا رئيس الكهنة المعزول، بأنهم يقيمون هذة المتاجر في عدة مناسبات، والأكثر من ذلك اشتغلوا بقبول الودائع والعمل بالربا، إلى جوار شرورهم وجرائمهم الكثيرة، عنهم يقول التلمود: "الويل لبيت حنان...".

واُشتُهِرت بنوك الصرافة اليهودية لاسيما في أوروبا، حيث يترك المسافرون ذهبهم حتى يعودوا، ويحصلون على صك بالرقم يستعيدون ذهبهم بموجبه، وربما كانت هناك فكرة الأوراق المالية من هنا! ولكن اليهود أصدروا خمسة أضعاف كمية الذهب الموجودة نقودًا ورقية، فلما قامت الحرب وأراد الناس استرداد ذهبهم لم يجدوا، وطلبت الحكومات من الناس التخلي عن الذهب، ومن هنا أيضًا جاءت فكرة سبائك الذهب التي تغطّي الأوراق المالية. وربما جاءت شهرة اليهود في العمل بالبنوك في نواحٍ كثيرة من العالم من فكرة صيارفة الهيكل..

العملات في ذلك الوقت:

فلس: عملة يهودية قليلة القيمة جدًا (وقد امتدح الرب فلسي الأرملة رغم قيمتهما الصغيرة)، **ستار:** عملة يونانية تعادل ٤ دراهم، **شاقل:** عملة يهودية يعادل استار، **درهم:** عملة يونانية تعادل ٥ جرامات من الفضة تساوي دينار، **دينار:** عملة رومانية تعادل درهم (وهى أجرة العامل في يوم واحد)، **منا:** عملة يونانية تعادل ١٠٠ دينار أو ٣٠ شاقلًا.

في الهيكل كان الجو خانقًا والحرارة مرتفعة والروائح كريهة، وأصوات خوار البقر وهديل الحمام، ورنين العملات تغطي على تسابيح اللاويين،

https://coptic-treasures.com

تمامًا مثلما يُباع القربان والسعف والبلح وبعض الهدايا وتُفتح المكتبات والكانتين ومعارض الثياب والأطعمة أمام الداخلين إلى الكنيسة، وأصوات الفصال، بينما في الداخل أطفال تتسلّى بأكل القربان والآيس كريم والشيكولاتة والشيبسي والكاراتيه واللبان، وزجاجات المياه، ومن ثَمّ تحتاج الكنيسة بعد القداس إلى جهد كبير لإزالة آثار العدوان.

ومن غير المقبول أن يُسمَح بالبيع والشراء أثناء ليتورجيات الكنيسة، وإلا فمعنى ذلك أن هناك ازدواجية وتقنين للمخالفة، ففي أثناء القداسات والعشيات والتسبحة وغيرها يتفرغ الشع للخدمة الليتورجية فقط، والإّ فما معنى فتح الكانتين والمكتبة أثناء القداسات والبسخات وليالي كيهك «هل صارَ هذا البَيتُ الّذي دُعيَ باسمي علَيهِ مَغارَةَ لُصوصٍ في أعيُنِكُم؟» (إرميا٧: ١١).

يُضاف إلى ذلك "بعض" من الأشخاص الذين يعملون في الكنيسة ولا صلة لهم بالعبادة فيها، مثل القرابني، والفراش، والحارس، ومسئول المكتبة، والكانتين، وجامع التبرعات، وبعض من لجان الكنائس الذين يجلسون في الخارج لهم اهتمامات اخرى. إن التجارة في بيت الله قد تشمل أناسًا يجتنون من الكنائس مكاسب مالية، وأدبية ومعنوية يتاجرون بها، هل سمعتم عن عضو لا يتناول ورسام لا يتناول.. وقرابني ومرتل لا يتناولون ولا أب اعتراف لهم وربما كانوا أبعد عن الله والكنيسة أكثر ممن لا يعملون بها؟!

وكذلك الأشخاص الذي يحدثون الضوضاء في الكنائس أثناء الصلاة، ألا يستحقون العقاب كما فعل السيد المسيح بالصيارفة وباعة الحمام، أصوات مرتفعة

https://coptic-treasures.com

وأناس ينادون بعضهم على البعض الآخر، وأصوات رنات التليفونات والتي تحمل سمة العالم، ناهيك عن ارتفاعها أو التحدث فيها أثناء العبادة.

هذه الصورة نجدها في مناسبات كثيرة مثل النهضات، واحتفالات القديسين (الموالد) والشعانين، والنيروز، حيث يُباع كل شي بما فيها الممنوعات، وفي الزحام يندس الكثيرون وتكثر التجاوزات، قال المتنيح البابا شنوده: "احرسوا المقدسات بطرق مقدسة".

ويصبح المكان غير لائق، لا تشعر فيها بالله، ولا بروحانية، ولا هيبة، بل تشعر أنه مدوس ومجروح، ومن هنا نمنع الحفلات الصاخبة في صحون الكنائس، وكذلك المسرحيات، والماسكات هيئة "بابا نويل" ليبقى الصحن والهيكل مكان العبادة والتوبة والخشوع والتعلم.

فإذا ترك الرب المكان أصبح خرابًا بشكل تلقائي، ولقد حذرهم الرب في المرة الأولى بأنهم حوّلوه إلي بيت تجارة «وقالَ لباعَةِ الحَمامِ: ارفَعوا هذِهِ مِنْ ههنا! لا تجعَلوا بَيتَ أبي بَيتَ تِجارَةٍ!» (يو ٢:١٦)، ولكنهم لم يرتدعوا بل حولوه إلى مغارة لصوص: «وقالَ لهُمْ: مَكتوبٌ: بَيتي بَيتَ الصَّلاةِ يُدعَى. وأنتُمْ جَعَلتُموهُ مَغارَةَ لُصوصٍ!» (مت٢١:١٣).

ليكن بيتك كنيسة، وحجرتك ومخدعك هيكلًا، ولينظر الله اليه قائلًا: هذا هو موضع راحتي ههنا أسكن لأني أحببته «هذِهِ هي راحَتي إلَى الأبدِ. ههنا أسكُنُ لأنّي اشتَهَيتُها» (مز ١٣٢:١٤).

https://coptic-treasures.com

تطهير الهيكل
يَبْنِي بَيْتُ الصَّلاَة

كان الهيكل قد تعرض للتدنيس من قِبَل السلوقيين سنة ١٧٦ق.م. في عهد أنطيوخس إبيفانيوس -أكثر شخصية كرهها اليهود- حيث تسبّب في تدنيس الهيكل، وأوقفت الخدمات الطقسية والاحتفالات، بل وأُقيم على مذبح المُحرَقة مذبحًا للإله زيوس الأوليمبي، وقدموا الخنازير كذبائح فوقه نكاية باليهود الذين يكرهون الخنزير اسمًا وش كلًا ولحمًا باعتباره نجسا، فكيف بالأحرى تقديمه كذبيحة! فالله لن يقبله بحسب ظنهم، ناهيك عن تدنيس المذبح، ومن ثَمّ فقد اعتبر البعض أن ذلك هو رجسة الخراب بعينها والتي تكلم عنها دانيال النبي..

وقامت الحركة المكابية بقيادة متتيا الكاهن وأولاده، وقاد يهوذا المكابي حربًا ناجحة ضد السلوقيين، وأمكنه دحرهم قليلًا عن المنطقة، ومن ثمّ تم تطهير الهيكل سنة ١٦٤ق.م.، ليصبح ذلك واحدًا من أهم أعياد اليهود ذات الطابع الشعبي "عيد الحانوكا أو عيد الأنوار" والمُشار إليه بـ"عيد التجديد" (يوحنا ١٠: ٢٢).

ولكن للأسف الشديد فإن الهيكل تدنّس فيما بعد بأيدي اليهود أنفسهم ورؤسائهم الدينيين. فقد كان اليهودي يذهب إلى الحظائر المخصصة

https://coptic-treasures.com

ليختار خروفًا سليمًا مستوفيًا الشروط لكي يُقبَل لدى الكهنة الذين سيقدمونه عنه، ويحدث الأمر ذاته مع ما يتوجب عليهم تقديمه من البقر والعجول والحمام والعصافير وغيرها، بل والعملات أيضًا حيث لم تكن أيّة عملة مقبولة داخل الهيكل إلا شاقل القدس أو الشاقل المقدس، ومن ثَمّ كثيرًا ما واجهوا مشاكل بسبب عدم مطابقة المواصفات..

من هنا قام رؤساء اليهود بإنشاء حظائر لتربية المواشي التي تُختار منها الذبائح، وكذلك حظائر للحمام واليمام والعصافير، وكانت تلك الحظائر شبه مقننه بحيث إذا حصل المشتري عما يفيد الشراء من تلك الأماكن بعينها، سهّل له ذلك مهمته، فقد كان القائمون على الحظائر يختمون الحيوان بختم يُعتبر جواز مرور الهيكل. ولكن التطور التالي والأسوأ هو نقل تلك الحيوانات والطيور إلى مظلات في رواق الأمم داخل هيكل أورشليم للتسهيل على الشعب مع زيادة نسبة النقل، بل كانوا يأمرون بمنع دخول أيّة حيوانات بالتالي من ابواب الهيكل مع المصلين لأنها ستؤثر على تجارتهم. ولا يخفى على القارئ أن ذلك كان لحساب الرؤساء.

أمّا في حالات أخرى فقد كان يُسمح لبعض التجار والمستثمرين باحضار بضاعتهم إلى مكان يؤجّر لهم حيث تدخل قيمة الإيجار خزانة الهيكل، وأمّا الرؤساء فقد كان لهم نسبة من المبيعات، وكذلك من عمليات تحويل العملات، حيث بلغت نسبة الرؤساء فيها إلى ١٢/١ من كل شاقل، وقيل إن الأسعار كانت تصل أحيانًا إلى ستة أضعاف سعر السوق خارج الهيكل!

https://coptic-treasures.com

رواق الأمم:

رواق الامم أو ساحة الأمم، اِسم أُطلِق على الفناء الموجود في مدخل الهيكل قبل الفناء الخارجي، وسُمِّي "جبل الهيكل"، وكان طوله ٢٢٥م (٧٥٠ قدمًا)، وقد سُمّي هكذا لأنه في الواقع كان لليهود والأمم معًا، وهذا يفسر لنا قول المسيح «بَيتي بَيتَ صَلاةٍ يُدعَى لجميعِ الأُمَمِ» (مرقس١١: ١٧).

كان ذلك الرواق مزدانًا بأروع أنواع الرخام، وهناك عُلِّقت لافته رخامية مكتوبة باللغتين اليونانية واللاتينية، تحذّر من التقدم للأمام وإلّا فالعقوبة هي الموت، ولعلنا نذكر هنا كيف أراد اليهود قتل بولس عندما اتهموه أنه ومعه وثنيون تجاوزوا هذه الحدود، إذ صرخوا: «يا أيُّها الرِّجالُ الإسرائيليّونَ، أعينوا! هذا هو الرَّجُلُ الّذي يُعَلِّمُ الجميعَ في كُلِّ مَكانٍ ضِدًّا للشَّعبِ والنّاموسِ وهذا المَوْضِعِ، حتَّى أدخَلَ يونانيّينَ أيضًا إلَى الهَيكلِ ودَنَّسَ هذا المَوْضِعَ المُقَدَّسَ» (أعمال٢١: ٢٨).

أمّا الصيارفة داخل ذلك المشهد فقد اصطفوا بموائدهم، هناك من يبدل الدراخمة (الدرهم) بالشاقل، بل والشاقل العادي بشاقل القدس، أو الشاقل المقدس، شاقل الهيكل، حيث هو المُعترَف به في الشراء، أو يقدم ضريبة نصف الشاقل أو لدفع النذور. ولك أن تتخيل الفصال على أقل سعر وأعلى سعر، وربما كان كل صراف يتعامل في عملة محدّدة. وكان يتوجب على الداخل اولًا الاتجاه للصيارفة، حتى يتسنى له تبديل العملة لاستخدامها في الشراء والتبرعات.

https://coptic-treasures.com

السيد المسيح يستاء من المنظر:

قرأنا كثيرًا أن السيد المسيح كان يتمشى في رواق سليمان «وكانَ يَسوعُ يتَمَشَّى في الهَيكلِ في رِواقِ سُلَيمانَ» (يوحنا١٠:٢٣)، لكن هذه هي المرة الأولى التي يتمشى فيها في رواق الأمم، وإن كان لم يُذكر صراحة في الأناجيل. لقد هاله المنظر والرائحة، بقر، عجول، خراف، جداء، رنين العملات، تختلط أصوات البشر بالحيوانات والطيور والعملات، والروائح الكريهة تنبعث، والفصال والأكل والشرب والتسالي، والأحاديث العابثة، كان الحرّ شديدًا والزحام على أشده، كان المنظر يوحي بأن هناك سوقًا أو "سويقة" (أقل نظامًا).

وهنا قام اللطيف الوديع، بصنع سوط من الحبال وبدأ في طرد الباعة وقلب موائد الصيارفة ونثر دراهمهم، ولكنه لم يضرب بل أحدث صوتًا بالسوط، وانتهرهم فانصاعوا وهربوا، وحدث هرج ومرج وولّوا من المكان. ولكن كيف استطاع هذا الشاب (فهو يبدو في نظرهم مجرد شاب) أن يطردهم وينهزموا له؟ إن السبب في بساطة أنه الأقوى وعلى صواب وهم انهزموا مخطئين، والكتاب يقول «رَجُلٌ واحِدٌ مِنكُمْ يَطرُدُ أَلفًا، لأَنَّ الرَّبَّ إِلهَكُمْ هو المُحارِبُ عنكُمْ كما كلَّمَكُمْ» (يشوع٢٣:١٠)، مثلما حدث مع القديس باخوميوس حين طرد مئة أخ من الأخوة المخالفين، فلما ذهبوا ليشتكوه لأسقف المنطقة وعلم منهم أنه طردهم جميعًا بمفرده، تأكد له أنه مصيب في قراره وهم المخطئون إذ انهزموا له ببساطة.

https://coptic-treasures.com

بيتي بيت صلاة:

كيف يجرؤ إنسان ما أن يقول عن الهيكل "بيتي" ما لم يكن هو صاحب البيت؟ مثلما قال السيد المسيح في العظة على الجبل: «سمعتم أنه قيل... أمّا أنا فأقول...»، كيف يمكنه أن يقول ذلك ما لم يكن هو القائل في القديم؟ لقد طهّر المسيح الهيكل من هذه الإهانة، ولكنه على المستوى الداخلي كان يشير إلي مكان سكنى الله في القلب، كيف يجب أن يكون القلب نقيًا بلا دنس ولا عيب حتى يصبح أهلًا لسكنى الله فيه، حتى يحق له أن يشير الله إليه قائلًا: «هذا هو موضع راحتي.. ههنا اسكن لأني أحببته».

أمّا من جهة مبنى الهيكل نفسه فقد تركه في ذلك اليوم وإلى الأبد، حين قال: «هوذا بَيتُكُمْ يُترَكُ لكُمْ خَرابًا» (متى٢٣:٣٨)، فلم يعد يصلح لسكناه، مثلما قال لموسى على الجبل «اذهَبِ انزِلْ. لأَنَّهُ قد فسدَ شَعبُكَ الّذي أصعَدتَهُ مِنْ أرضِ مِصرَ» (خروج٣٢:٧)، رغم أنه شعب الله!! وقد تم ذلك (خراب البيت) بعد ٤٠ سنة، وعانى الهيكل والمدينة مأساة إنسانية تاريخية.

ويقول الشراح إن السيد المسيح طهّر الهيكل مرتين، الأولى في بداية خدمته، والثانية قبل الفصح الأخير، وحيث لم يعد يصلح الترقيع فلزم التغيير. هذا التغيير كان هو أن تحل الكنيسة محل الهيكل، التي هي جسده، ولذلك قال لهم «انقُضوا هذا الهَيكلَ، وفي ثَلاثَةِ أيّامٍ أُقيمُهُ»

https://coptic-treasures.com

(يوحنا٢:١٩)، وكان يتكلم عن هيكل جسده. ومن ثَمّ يتحدث القديس بولس عن الكنيسة التي هي جسد المسيح «وأخضَعَ كُلَّ شَيءٍ تحتَ قَدَمَيهِ، وإيّاهُ جَعَلَ رأسًا فوقَ كُلِّ شَيءٍ للكَنيسَةِ، الّتي هي جَسَدُهُ، مِلءُ الّذي يَملأُ الكُلَّ في الكُلِّ» (أفسس١:٢٢،٢٣).

ومن ثَمّ فلا حاجة إلى الذبائح:

أراد الرب أن يقول إنه لم تعد هناك حاجة بعد إلى ذبائح من أي نوع، فعند السيد المسيح تتوقف جميع الذبائح والتقدمات، فجميعها كانت تشير إليه هو. وعندما وصل المرموز إليه، يبطل الرمز ويسلم نفسه، مثل الظل عندما يتطابق مع الجسم. فالمسيح هو الذبيحة الحقيقة لمغفرة الخطايا، وقد تركوه في يوم الجمعة مُعلَّقًا على الصليب، ليذبحوا خروفًا لا قيمة ولا معنى له، يقول القديس بولس في ذلك: «إذًا نَقّوا مِنكُمُ الخَميرَةَ العتِيقَةَ، لكَيْ تكونوا عَجينًا جديدًا كما أنتُمْ فطيرٌ. لأنَّ فِصحَنا أيضًا المَسيحَ قد ذُبِحَ لأجلِنا» (١كورنثوس٥:٧).

اطلب إلى الله:

"يا ربي يسوع المسيح اجعل من بيتي مسكنًا لك، اجعل من حجرتي مخدعًا لك، اجعل من قلبي هيكلًا لروحك القدوس"، مثلما نقول في صلوات تدشين الكنائس الجديدة.. ولا تفعل ما يجعل المسيح يغادر قلبك ويتركه خربًا.

https://coptic-treasures.com

لا يُترك ههُنا حجرٌ على حجرٍ لا يُنقض!

(متى ٢٤: ١؛ مرقس ١٣: ١؛ لوقا ٢١: ٥)

كان الهيكل اليهودي الأعجوبة الثامنة في العالم، ولم يكن هناك أبهى منه بين معابد الدنيا وعلى مر العصور، وكان اليهود يتوقعون أي شيء حتى دمار العالم كله، إلّا الهيكل فقد كانوا يسخرون ممن يتوقع تلاشيه، فلما أحرقه جنود الرومان سنة ٧٠م ألقى كثيرون منهم بأنفسهم في النيران ليحترقوا مع آخر أمل تبقى لهم..

قصته:

بدأ المكان بتقديم أبينا إبراهيم ذبيحة إسحق عليه. أمّا داود النبي فقد أعدّ كل شيء لبناء الهيكل، ولكن الذي بناه هو سليمان ابنه وذلك على جبل الموريا. وفي وقت لاحق رمّمه زربابل بعد أن كان قد تهدم بعد تدميره في السبي. وقد تعرض الهيكل عبر التاريخ إلى النهب من الكثير من الملوك، كما حُمِلت بعض كنوزه كهدايا وجزية. ودنسه أنطيوخس إبيفانيوس سنة ١٧٦ق.م.، ثم طهّره المكابيون بعد ١٣ سنة من ذلك التاريخ. أمّا هيرودس فقد أراد إعادة إعماره على مساحة أكبر، وبدأ فيه بالفعل، واستمر العمل فيه لستٍ وأربعين سنة، ولكن الرومان دمروه سنة ٧٠م بعد ثورة عصيان من

https://coptic-treasures.com

اليهود، وعرضوا كنوزه في قوس النصر لتيطس في روما. ولما حاول بعض الملوك لاحقًا إعادة بنائه، ففشلوا، بل وأقام هادريان سنة ١٣٧م معبدًا لفينوس فوق خرائب الهيكل، وهكذا ظل للدهش والصفير، ولم يتبقَّ منه حتى الآن سوى جزء يسير يُسمّى حائط المبكى. وحائط المبكى ليس جزءًا من الهيكل، ولكن هذا الجزء هو من مبنى بناه هيرودس بجوار الهيكل..

المسيح يحكم على الهيكل:

لما أراه التلاميذ حجارة الهيكل مفتخرين، كان الحجر الواحد تصل أبعاده إلى ١٨م × ٥م، منقوشًا ومزخرفًا. كما كان هناك بداخل الهيكل الكثير من الأعمدة الكورنثية النحاسية المصبوبة كتلة واحدة من الرخام أيضًا. يُضاف إلى ذلك أيوانات (قاعات) عظيمة بأعمدة فخمة، وكتل رخامية منحوتة ومطعمة مثل أمواج البحر، وعناقيد عنب كبيرة بحجم الرجل (قيل إنها مهداة من هيرودس) تتعانق حول البوابات الذهبية، كما غُطِّي رواق الأمم بالفسيفساء.

أمّا قدس الأقداس فقد كان مرتفعًا ومصنوعًا من الرخام الأبيض، وعندما تنعكس عليه أشعة الشمس كان يبدو كأسد رابض، وأمّا سقوفه فقد كانت محلّاة بالذهب، وكان كله يبدو وكأنه كتلة ثلجية..

كان اليهود يتخيلون أي خراب إلا الهيكل، حتى لو العالم كله تدمّر وخرب، سيبقى الهيكل يناطح ويقاوم بكبرياء كل عوامل الطبيعة والدمار.

https://coptic-treasures.com

واعتبروه خلاصة الجمال في العالم، وتاج الأرض كلها، والأعجوبة الثامنة، إضافة إلى أنه كان أغنى خزينة في العالم. وفي أيام المسيح كان آلاف العمال يعملون فيه ليكملونه..

كان الوقت عند الغروب والشمس ترسل إشعتها على الموضع فتزيده جمالًا، وأراه التلاميذ ذلك بشيء من الفخر والزهو، ربما زاد انبهارهم أنهم جليليون ويأتون للزيارة على فترات، ولكن السيد تحسّر وأخبرهم بأنه لن يُترَك فيه حجر على حجر..

ولابد أن نربط بين خراب الهيكل كمبنى مهما كانت عظمته، بالخراب والتجاوزات الحادثة داخله والتي حولته إلى "مغارة لصوص"، هكذا الإصلاح يأتي من الداخل، مثلما يبدأ الخراب من الداخل أيضًا. كما أنه لابد أن يُهدَم الهيكل لتحلّ الكنيسة محله، فالحجر المصبوب عليه الزيت كأول شكل للمذبح، تطور إلى خيمة الاجتماع، وهذه اُستُبدِلت بالهيكل، والهيكل بالكنيسة، والكنيسة شبه السماويات، لاسيما وقد استمر بعض الرسل في التردد على الهيكل والصلاة والتعييد فيه لفترة، ومن ثَمّ فلابد من أن يسلم الهيكل نفسه للكنيسة، لئلا يظن البعض مع الوقت أن المسيحية هي مجرد بدعة يهودية (أو جماعة منشقة)، ومن ثَمّ كانوا يصفونها بأنها شيعة الناصريين والمسيحيين أتباع الناصري وهكذا..

https://coptic-treasures.com

تمام نبوة المسيح:

حدث ذلك حين عصى اليهود على الرومان وامتنعوا عن أداء الجزية، وهنا قررت روما الانتقام وحاصرت اورشليم لمدة أربع سنوات من ٦٦-٧٠ ميلادية، واقتحمتها في سنة ٧٠م، وقد انبهر تيطس بالهيكل أيّما انبهار، وحاول بكل قوته أن يمنع الجنود المغتاظين الحانقين من تدميره، ولكنه للأسف فشل في الإبقاء عليه، وتحول إلى كومة رماد، ورأى تيطس أنه لا يمكن انه يُهدَم مثل هذا المكان ما لم يكن بأمر من الله! ويصف يوسيفوس ما حدث، بأن كل من يرى المدينة وكان قد رآها من قبل، يظن أن المكان لم يكن مأهولًا قبلًا، هذا وقد أنذرهم الرب من قبل: «أجعَلُ هذا البَيتَ كشيلوهَ، وهذِهِ المدينةُ أجعَلُها لَعنَةً لكُلِّ شُعوبِ الأرضِ» (إرميا٢٦:٦).

محاولة بنائه:

أراد جوليان فلافيوس كلوديوس (وهو من عُرِف في التاريخ باسم يوليان الجاحد) سنة ٣٦١م، إثبات خطأ المسيح بأنه لن يُبنى الهيكل من جديد (لأنه كان مسيحيًا وارتد)، فاستدعى اليهود وأعطاهم المال اللازم ومواد البناء، ولما شرعوا في ذلك رأوا البقايا الموجودة من بعض الحوائط متهالكة، وقرّروا هدمها ليبنوها من جديد. ولما هدموها رأوا الأساسات متهالكة أيضًا فقرروا عمل أساسات جديدة تليق بالهيكل. ولكن بعد إزالة الأساسات وبدء العمل خرجت نار من الأرض، وظهرت صلبان حمراء على ملابس العمال

https://coptic-treasures.com

فخاف اليهود، واُضـــطُر الملك إلى التراجع، وهكذا قُلِع آخر حجر ســـنة ٣٦٣م.

ويرى كثير من المؤرخين أن اليهود لما رأوا النار تلتهم الخشـــب المُعَد للعمل، شـعروا بأنها ضـربة من الله فخافوا وتركوا المكان، وأصـبح موضـع قمامة، وتم القول بأنه «لا يُترَك حجرٌ... هوذا بيتكم يُترَك لكم خرابًا».

المسلمون والهيكل:

عندما اسـتولى العرب على أورشـليم سـنة ٦٣٨م، توقفت الصـلاة في كنيسـة القيامة (القبر)، وصُـلِّي على الصـخرة (مكان الهيكل). وجاء معاوية بعد ذلك وبنى مســـجدًا، ثم جاء عبد الملك بن مروان وبنى مســـجد لاحقًا (قبة الصـــخرة)، وســـاعده في بنائه ملك القســـطنطينية، وأنفق الملك خراج مصر لسنوات في البناء، واستمر الحكم العربي بعد ذلك.

اهتمامنا بالهياكل الخارجية:

يجب أن يكون الاهتمام بالهياكل اللحمية أكثر من الحجرية، كما يجب وأن تتناســـب فخامة المكان مع الحي أو القرية التي فيها، ولكن الأهم من الهياكل هم العابدون أنفسـهم والذين قد يصـلون في الأكواخ وربما الشـوارع، وقد تُرفَع الصـلوات الحارة والدموع المنسـكبة والركب المنحنية، والتي تجعل من المكان سماءً مهما كان مواد بنائه.

https://coptic-treasures.com

أربعاء أيوب

كل يوم من أيام البسخة له خصوصية وله رمز أو اسم بدءًا من سبت لعازر، ثم أحد الشعانين، فاثنين البسخة ويُدعى "اثنين التينة"، وثلاثاء البسخة ويُدعى "علامات النهاية"، ثم أربعاء البسخة ويُدعى "أربعاء أيوب"، ثم خميس العهد والجمعة الكبيرة وسبت الفرح، وأخيرًا أحد القيامة؛ وهكذا يُسمّى الأسبوع كله "الأسبوع الكبير" لأن كل يوم فيه يوم كبير..

هكذا رسخ في التقليد القبطي أن أربعاء البصخة هو أربعاء أيوب، حيث يُظَن أنه اليوم الذي اغتسل فيه أيوب الصديق من جروحه وتعافى، والكنيسة المرتشدة بالروح القدس رسخ في وعيها منذ القدم أن أيوب هو إحدى الشخصيات التي رمزت إلى المسيح في العهد القديم.

وفي هذا اليوم تقرأ الكنيسة ميمر (عظة) أيوب الصديق، كما اختارت فصولًا من سفره لتُقرَأ في أكثر من يوم من أيام البسخة، لا سيما يوم الأربعاء. وكان للسفر طريقة يُرتَّل بها وهي رثائية، تشبه طريقة مراثي إرميا، وطريقة الإنجيل خلال صلوات البسخة، وإلى تلك الطريقة يشير الخولاجي القبطي حيث ورد أن بعض القطع تُقال بـ"لحن أيوب".

https://coptic-treasures.com

أمّا أيوب فإنه يشير إلى السيد المسيح من حيث أنه رجل أوجاع ومُختبِر حزن «مُحتَقَرٌ ومَخذولٌ مِنَ النّاسِ، رَجُلُ أوجاعٍ ومُختَبِرُ الحَزَنِ، وكمُسَتَّرٍ عنهُ وُجوهنا، مُحتَقَرٌ فلَمْ نَعتَدَّ بهِ» (إشعياء٥٣: ٣). وقد تعرّض أيوب بسماح من الله ليُجرَّب من الشيطان، مثلما وضع المسيح في التدبير أن يُجرَّب من أبليس عقب المعمودية. وكما فشل الشيطان وطُرِد في النهاية من قدام الله، ردَّ الله الشيطان خائبًا عن أيوب ليعود أقوى وأغنى مما كان. إن المصارع القوي لا يختار المكان ولا الزمان ولا الخصم الذي يواجهه.

«كانَ رَجُلٌ في أرضِ عَوْصَ اسمُهُ أيّوبُ. وكانَ هذا الرَّجُلُ كامِلًا ومُستَقيمًا، يتَّقي اللهَ ويَحيدُ عن الشَّرِّ. ووُلِدَ لهُ سبعَةُ بَنينَ وثَلاثُ بَناتٍ. وكانتْ مَواشيهِ سبعَةَ آلافٍ مِنَ الغَنَمِ، وثَلاثَةَ آلافِ جَمَلٍ، وخَمسَ مِئَةِ فدّانِ بَقَرٍ، وخَمسَ مِئَةِ أتانٍ، وخَدَمُهُ كثيرينَ جِدًّا. فكانَ هذا الرَّجُلُ أعظَمَ كُلِّ بَني المَشرِقِ» (أيوب١: ١-٣).

كان أيوب أغنى بني المشرق، وأمّا المسيح فهو الجوهرة، اللؤلوة كثيرة الثمن التي ظهرت في المشرق، وأشرقت للبشرية الماكثة في الظلمة وظلال الموت. وأيوب الغني هو رمز للمسيح مصدر كل غنى. وكما كان أيوب بارًا تقيًا وكان خاطئًا أيضًا (بارًا في عيني نفسه، وخاطئًا مثل كل البشر)، هكذا المسيح بار من جهة بره الشخصي، وخاطئ من حيث أن الله وضع عليه إثم جميعنا «كُلُّنا كغَنَمٍ ضَلَلنا. مِلنا كُلُّ واحِدٍ إلَى طريقِهِ، والرَّبُّ وضَعَ

https://coptic-treasures.com

علَيهِ إثمَ جميعِنا» (إشـــعياء٥٣:٦). وكما قدم أيوب ذبائح عن أولاده، قدم المســيح ذبيحة نفســه عنا جميعًا، ولكن ذبائح أيوب لم تكن كافية في حين أكمل المسيح فداء البشرية.

يقول أيوب: «ليس بَينَنا مُصـالِحٌ يَضَـعُ يَدَهُ علَى كِلَينا» (أيوب٩:٣٣)، وعن المســيح يقول القديس بولس: «ولكن الكُلَّ مِنَ اللهِ، الّذي صـــالَحَنا لنَفسِــهِ بيَسـوعَ المَسـيحِ، وأعطانا خِدمَةَ المُصـــالَحَةِ، أيْ إنَّ اللهَ كانَ في المَسـيحِ مُصـالِحًا العالَمَ لنَفسِـهِ، غَيرَ حاسِـبٍ لهُمْ خطاياهُمْ، وواضِـعًا فينا كلِمَةَ المُصـالَحَةِ. إذًا نَسـعَى كسُفَراءَ عن المَسيحِ، كأنَّ اللهَ يَعِظُ بنا. نَطلُبُ عن المَسيحِ: تصالَحوا مع اللهِ» (٢كورنثوس٥:١٨-٢٠).

وكما سـخر أصـدقاء أيوب منه وأتعبوه ولم يقدروا أن يحلوا له مشكلته، هكذا المســيح تركه تلاميذه وحده، خانه الواحد وأنكره الآخر وتشــتّت البقية «هوذا تأتي ســاعَةٌ، وقَدْ أتَتِ الآنَ، تتَفَرَّقونَ فيها كُلُّ واحِدٍ إلَى خاصَّــتِهِ، وتَترُكونَني وحدي. وأنا لَستُ وحدي لأنَّ الآبَ مَعي» (يوحنا١٦:٣٢). وكما احتمل أيوب وصـلى لأجل أصـحابه، هكذا احتمل المسـيح الخزي وصـلى لأجل صـــالبيه. وكما قام أيوب معافىً ورُدَّ عليه كل شـــيء أزيد مما كان «ورَفَعَ الرَّبُّ وجهَ أيّوبَ. ورَدَّ الرَّبُّ سـبيَ أيّوبَ لَمّا صَـلَّى لأجلِ أصـحابِهِ، وزادَ الرَّبُّ علَى كُلِّ ما كانَ لأيّوبَ ضِـــعفًا» (أيوب٤٢:٩-١٠)، هكذا قام المسيح من الموت مُمجَّدًا.

https://coptic-treasures.com

نبوات عن المسيح في السفر:

كما أنه يوجد في سفر أيوب الكثير من المشاكل والأسئلة التي يجيب عنها المسيح، فهو عالم بمتاعبنا «لأَنَّهُ في ما هو قد تألَّمَ مُجَرَّبًا يَقدِرُ أنْ يُعينَ المُجَرَّبينَ» (عبرانيين٢: ١٨). هكذا توجد في لسفر الكثير من النبوات عن السيد المسيح، نذكر منها:

+ «فغَروا علَيَّ أفواهَهُمْ. لَطَموني علَى فكّي تعييرًا. تعاوَنوا علَيَّ جميعًا. دَفَعَنيَ اللهُ إلَى الظّالِمِ، وفي أيدي الأشرارِ طَرَحَني» (أيوب١٦: ١٠، ١١).

+ «أوقَفَني مَثَلًا للشُّعوبِ، وصِرتُ للبَصقِ في الوَجهِ» (أيوب١٧: ٦).

+ «أمّا أنا فقد عَلِمتُ أنَّ وليّي حَيٌّ، والآخِرَ علَى الأرضِ يَقومُ» (أيوب١٩: ٢٥).

المسيح هو البار والمتألم المحتمل في صمت، والظافر على أوجاع الموت.

https://coptic-treasures.com

مَنْ هُوَ الأعظم

تبدأ قصة النصيب الأعظم بالفهم المادي لملكوت المسيح، فعندما قال لتلاميذه: «متى جلس ابن الإنسان على كرسي مجده... تجلسون أنتم على اثني عشر كرسيًا» (متى١٩:٢٨،٢٩) ، ومن ثَمّ اتجهت أنظارهم على الفور إلى توزيع الوزارات..! وأوعزت الأم الطيبة سالومي إلى ولديها يعقوب ويوحنا بأن يطلبا المقامين الأول والثاني في تلك المملكة، مثلما نقول الآن "وزارات سيادية"، مع أن الرب نبّههم أكثر من مرة إلى أن مملكته ليست من هذا العالم.

وعلى مستوى الطقس اليهودي كان الابن الأكبر يجلس عن يمين رب الأسرة بينما يجلس الأصغر عن شماله، ولكن السيد عندما أشار إلى أن تلاميذه سيجلسون على اثني عشر كرسيًا ويدينون أسباط بني إسرائيل الاثني عشر، كان يعني بذلك أنهم "سيبكّتون" اليهود الذين رفضوه، مثلما قيل أيضًا عن رجال نينوى الذين سيقومون في الدينونة مع رجال "هذا الجيل" ويدينونه لأنهم تابوا بمناداة يونان، أي يبكّتونهم ببرهم لأنهم تابوا بمناداة يونان.

وربما يكمن السبب في طلب الأم والابنين معًا هذا الامتياز هو صلة القرابة التي بين العائلتين من جهة، والوضع الاجتماعي المتميز لعائلة

https://coptic-treasures.com

زبدي، وكذلك الامتياز الممنوح للتلميذين مع القديس بطرس في اصطحاب السيد لهم في المهام الخاصة (مثل الذهاب بيت يايرس، وجبل التجلي، وبستان جسيثماني)، بل لقد تذمّر بقية التلاميذ من ذلك، وهنا عاتبهم الرب قائلا: «إن رؤساء الأمم يسودونهم، والمتسلطين عليهم يُحسبون محسنين»، أي أن الرئاسة تغري بالتسلّط، وأن المتسلطين يأخذون أجرهم من خلال مديح الناس لهم "بإذاعة أنهم محسنون" (أي الإعلان عن إحساناتهم، وبالتالي يستوفون أجرهم)، وأكّد لهم أن سر العظمة يكمن في الاتضاع واتخاذ المتكآت الأخيرة، وأعطى ذاته مثالًا؛ فبالرغم من أنه الرب والسيد والإله، إلا أنه جاء لا ليُخدَم بل ليَخدِم ويبذل نفسه فدية عن كثيرين. لقد حزن الرب من تفكيرهم هذا إذ كان للتوّ قد تحدّث معهم عن الصليب، وأن مملكته ليست من هذا العالم، وأنه مجدًا من الناس لا يقبل.

إن مشكلة الناس في العالم هي: "من هو الأعظم والأقوى والأغنى والأشهر؟"، صراع الأشخاص وصراع الحكومات والعائلات، فهناك العِرقية والقبلية والتنافس بين العائلات، وهناك صراع التسلح والاقتصاد والقوة النووية بين الشعوب، ولكن السيد أراهم طريقًا أفضل للعظمة الحقيقية وهو الاتضاع والبساطة، فأخذ طفلًا وأقامه في الوسط واحتضنه، وقال إن من لا يقبل ملكوت السموات مثل هذا الطفل فلن يدخله، وأعلن بالتالي أنه يحتضن البسطاء والضعفاء والمتضعين، وهكذا فإن الكثير من القديسين

https://coptic-treasures.com

أخذوا الملكوت بالفقر والعوز وكذلك بالتواري عن الكل، ومنهم من أخذه بالضيقات والآلام والأمراض، ومنهم من جعل نفسه جاهلًا لكي يحكّمه الله.

غير أن العظمة والغنى والشهرة ليست هي الخطر الحقيقي، وإنما السعي لها والرغبة فيها هي الخطورة بعينها، مثل المال الذي لا يعد بذاته خطرًا، بل تكمن الخطورة في السعي إليه ومحبته والاتكال عليه. كما يجب الانتباه إلى أن المشكلة الحقيقية هي "الأعظم"، أي أنه قد لا يهتم الإنسان بأن يكون عظيمًا قدر اهتمامه بأن يكون الأعظم والأغنى والأقوى.. قد لا يعنيه كم معه من المال ولكن المهم أن يكون ما معه أكثر مما مع الآخرين! من أجل التفوق فقط لا غير. هنّأت طفلًا ذات مرة لأن ترتيبه كان الأول، ففاجأني بقوله: "لا يهمني أن أكون الأول قدر اهتمامي أن أحصل على أفضل الدرجات، دون مقارنة مع آخر"، ولما سألته عن السبب أجاب بأنه من الممكن أن يكون ترتيبه الأول ولكن بمجموع هزيل! فتأثرت من فكره ومنطقه.

وأراد الرب اختبار التلميذين إن كانا يستطيعان أن يشربا الكأس التي يشربها هو، وأن يصطبغا بالصبغة التي يصطبغ بها هو، أي أن يجوزا الآلام عينها وسفك الدم، وأبدى التلميذان فورًا استعدادهما لذلك، فأجابهم

https://coptic-treasures.com

الرب بأنه حتى وإن كان هذا صحيحًا، فإن الجلوس عن اليمين وعن اليسار له حسابات أخرى.

إن الطريق الحقيقية للعظمة كما رسمها السيد المسيح هو الاتضاع والعوز والمتكأ الأخير وطلب ملكوت السموات وبره، لأن هذه كلها (الأعظم) تطلبها الأمم، فقد يتطلّب الوصول إلى الغنى والعظمة والقوة سبلًا غير شريفة، وهذه الرغبة يمكن أن يُطلق عليها: "اللص السلاّب" الذي يسرق منّا الملكوت، فمنطق الملكوت هو "الأضعف والأصغر والأفقر"، فالمسيح يسكن مع الفقراء بين الأكوام وفوق التراب، وبين المرضى والمتعبين، ويحب المتضعين.

أخيرًا.. فالذين يُمدَحون هنا قد يُكافَأون هنا، وربما مُدِحوا في الظاهر ولُعِنوا في الباطن، كما أن "الفضيلة إذا اُشتُهرت نُهِبت".

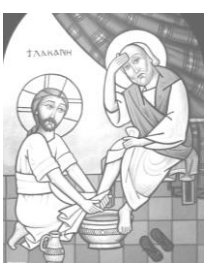

https://coptic-treasures.com

يارب هوذا هنا سيفان

ثُمَّ قالَ لهُمْ: «حينَ أرسَلتُكُمْ بلا كيسٍ ولا مِزوَدٍ ولا أحذيَةٍ، هل أعوَزَكُمْ شَيءٌ؟». فقالوا: «لا». فقالَ لهُمْ: «لكن الآنَ، مَنْ لهُ كيسٌ فليأخُذهُ ومِزوَدٌ كذلكَ. ومَنْ ليس لهُ فليَبِعْ ثَوْبَهُ ويَشترِ سيفًا. لأنّي أقولُ لكُمْ: إنَّهُ يَنبَغي أنْ يتِمَّ فيَّ أيضًا هذا المَكتوبُ: وأُحصيَ مع أثَمَةٍ. لأنَّ ما هو مِنْ جِهَتي لهُ انقِضاءٌ». فقالوا: «يا رَبُّ، هوذا هنا سيفانِ». فقالَ لهُمْ: «يَكفي!». (لوقا٢٢: ٣٥-٣٨).

جاء هذا الكلام في معرض حديث السيد المسيح مع تلاميذه، أن الشيطان مزمع أن يغربلهم مثل الحنطة، وكان يقصد أن الآلام والأحداث الوشيكة سوف تسبّب لهم القلق والشك والتفرُّق، وبادر القديس بطرس بالقول إنه يمضي معه إلى السجن وإلى الموت، وكان القديس بطرس هنا وفي مواقف أخرى أشبه بمن يحب الموسيقى ولكنه لا يجيد العزف، يحب ويغير ويخلص، وإن كان لا يستطيع التعبير جيدًا (أنا شخصيًا أصدقه جدًا).

وعاتبه الرب بأنه سينكره ثلاث مرات قبل ان يصيح الديك، ثم بدأ يحدثهم بأنه عندما أرسلهم بلا كيس ولا مزود لم يعوزهم شيء، ولكن الآن الذي له كيس ومزود فليأخذهما، ومن ليس له فليبع ثوبه ويشتري سيفًا..

https://coptic-treasures.com

المعنى المقصـــود هنا هو أنه لا الكيس ولا المزود ولا الســـيف يفيدون شيئًا!! ماداموا سيتفرقون عنه ويشكّون فيه ويغربلهم الشيطان.. قالوا له «يا رَبُّ، هوذا هنا سيفانِ»، ويرى القديس ذهبي الفم أنهما سكينان كبيران لزوم الفصـح الذي أعدوه، وليس سيفين بالمعنى الكامل، فقال لهم "يكفي"، ويكفي هنا في أصـــلها الآرامي هي مصـــطلح تداول بين الربيين اليهود يعني "كفى جهلًا"، أو "كُفّ عن الكلام ما دمت غير مستوعب" (خلاص كدة...).

قال ذلك بحزن وأســـى، إذ لم يكن هناك فائدة من إتمام الكلام، بل بدأ يتكلم في موضوع آخر عن عدم اضطرابهم، «صَلّوا لئَلّا تدخُلوا في تجرِبَةٍ» (لوقا٢٢: ٤٦).

هل قصد سيف؟ وهل قنع بسيفين (يكفي)؟ وما هذان السيفان أمام قوة غاشـمة من الرومان واليهود عند القبض عليه؟ كما أن الله يبيد الأمم بنفخة فيه، وقال للقديسين بطرس ويوحنا عندما طلبا إليه أن تنزل نار من السماء على السـامرة التي رفضـته، فقال لهما: «لَسـتُما تعلَمانِ مِنْ أيّ روحٍ أنتُما» (لوقا٩: ٥٥)..

لم يكن الرب يتكلم عن نفسه وإنما عن التلاميذ، لأنه قال لهم إنه سيتم المكتوب أن يُحصـــى مع أثمة (إشـــعياء٥٣:١٢)، وهكذا لم يطلب ســـيفًا للدفاع به عن نفسه، لأن «يَسوعُ وهو عالِمٌ بكُلِّ ما يأتي علَيهِ... إذ كانَ قد أحَبَّ خاصَّتَهُ الّذينَ في العالَمِ، أحَبَّهُمْ إلَى المُنتَهَى» (يوحنا١٨: ٤؛١٣: ١).

https://coptic-treasures.com

ويرد في إنجيل القديس لوقا «لأنّي أقولُ لكُمْ: إنَّهُ يَنبَغي أنْ يتِمَّ فيَّ أيضًا هذا المَكتوبُ: وأُحصيَ مع أثَمَةٍ. لأنَّ ما هو مِنْ جِهَتي لهُ انقِضاءٌ» (لوقا٢٢:٣٧)، وهو تصريح يعني إنني بين الآن وانقضاء الأمر ساعات معدودات.

إن المسيح لم يطلب سيفًا لنفسه ولا سيفين، بل سيف الروح، فإن طلب السيف للقتال لا يتسق مع منهج السيد المسيح وتعليمه: من لطمك على خدك فحول له الآخر... لا تجاوزوا أحدًا عن شر بشر.. باركوا ولا تلعنوا.. أمّا ما قيل عن أنه صرّح بأنه جاء لا لكي يلقي سلامًا على الأرض بل سيفًا، فإن ذلك سيكون نتيجة الكرازة والانقسام الذي ستحدثه في المنازل بين الآباء والأبناء «لا تظُنّوا أنّي جِئتُ لأُلقيَ سلامًا علَى الأرضِ. ما جِئتُ لأُلقيَ سلامًا بل سيفًا. فإنّي جِئتُ لأُفَرِّقَ الإنسانَ ضِدَّ أبيهِ، والِابنَةَ ضِدَّ أُمِّها، والكَنَّةَ ضِدَّ حَماتِها. وأعداءُ الإنسانِ أهلُ بَيتِهِ» (متى١٠:٣٤-٣٦). هذا وقد استخدم المسيح اللغة الرمزية كثيرًا، مثل «احترزوا من خمير الفريسيين..» الذي هو رياؤهم (التلاميذ ظنوه خبزًا).

والدليل الأكيد على ذلك أن الرب انتهر القديس بطرس عندما استخدم سيفه -وبطريقة خاطئة- ضرب أُذن ملخس (ملوخ) الذي ربما كان قائد جند الهيكل، فانتهره المسيح بأن يرد سيفه إلى الغمد «فقالَ لهُ يَسوعُ: رُدَّ سيفَكَ إلَى مَكانِهِ. لأنَّ كُلَّ الّذينَ يأخُذونَ السَّيفَ بالسَّيفِ يَهلِكونَ!» (متى٢٦: ٥٢؛ يوحنا١٨:١٠). لم يكن الله محتاجًا لمن يدافع عنه، إن ملاكًا واحدًا

https://coptic-treasures.com

من ملائكة الله قتل أبكار المصريين، وآخر أهلك الآلاف من بني إسرائيل، وثالث قتل ١٨٥ ألفًا من جيش سنحاريب.

ولماذا السيوف؟ ألم يقبل هذا الموت بإرادته وبالتدبير؟!

السؤال هنا: هل ندافع عن أنفسنا وبيوتنا وكنائسنا وبلادنا؟ هل يجوز أن نحتفظ بسلاح للدفاع عن أنفسنا؟ هذه قامة روحية معينة لا يُطالَب بها الكل، أي إعطاء الخد الآخر وترك الحق وعدم الدفاع عن النفس. يقول قانون لعبة الكاراتيه: "دافع دون أن تهاجم، هاجم لكن لا تضرب، اضرب ولكن لا تجرح، اجرح ولكن لا تقتل...".

ولكن من البديهي الدفاع عن الأسرة، وحراسة الكنائس كوقاية، وأمّا البلاد فهي مسئولية الحاكم فيما ينتج عن ذلك من قتل ربما أو دمار، ولكن لا يجوز حمل السلاح واستخدامه والاحتفاظ به.

لنشترِ لنا سيف كلمة الله، لنتحكّم به ونتعزّى ونتصدّى لكل مكائد العدو الشيطان.

https://coptic-treasures.com

مَلْخُس (عَبْد رئيس الكهنة)

حينَئذٍ تقَدَّموا وألقَوْا الأياديَ علَى يَسوعَ وأمسَكوهُ. وإذا واحِدٌ مِنَ الّذينَ مع يَسوعَ مَدَّ يَدَهُ واستَلَّ سيفَهُ وضَرَبَ عَبدَ رَئيسِ الكهنةِ، فقَطَعَ أُذنَهُ. فقالَ لهُ يَسوعُ: «رُدَّ سيفَكَ إلَى مَكانِهِ. لأنَّ كُلَّ الّذينَ يأخُذونَ السَّيفَ بالسَّيفِ يَهلِكونَ! أتَظُنُّ أنّي لا أستَطيعُ الآنَ أنْ أطلُبَ إلَى أبي فيُقَدِّمَ لي أكثَرَ مِنِ اثنَيْ عشَرَ جَيشًا مِنَ المَلائكَةِ؟ فكيفَ تُكَمَّلُ الكُتُبُ: أنَّهُ هكذا يَنبَغي أنْ يكونَ؟». (متى٢٦: ٤٧-٥٤؛ مرقس١٤: ٤٧؛ لوقا٢٢: ٥٠).

«ثُمَّ إنَّ سِمعانَ بُطرُسَ كانَ معهُ سيفٌ، فاستَلَّهُ وضَرَبَ عَبدَ رَئيسِ الكهنةِ، فقَطَعَ أُذنَهُ اليُمنَى. وكانَ اسمُ العَبدِ مَلخُسَ» (يوحنا١٨: ١٠).

شفاء أُذن ملخس العبد هي المعجزة التي لم ينتبه إليها الكثيرون، لقد تاهت في خضم الأحداث الكبار في القبض على الرب ومحاكمته وصلبه.

يرى البعض أن "ملخس" وهو اسم عبري من الأصل "ملك"، وأنه الشخص الذي حمل الثلاثين من الفضة ليسلّمها ليهوذا على ناحية، ورآه بطرس فثارت حفيظته. بينما رأى البعض الآخر أنه كان الشخص الخشن

https://coptic-treasures.com

الجســـور الذي بادر بإلقاء يده على الســـيد للقبض عليه، مما أثار ذلك التلاميذ فقالوا: «يا رَبُّ، أنَضرِبُ بالسَّيفِ؟» (لوقا٢٢: ٤٩).

عندما أراد جند رئيس الكهنة ومعهم آخرون (حوالي الخمسـين) القبض على المسـيح، لم يجرؤوا على ذلك عدة مرات حتى سـمح هو لهم، فقد قال لهم «هذِهِ ســاعَتُكُمْ وسُــلطانُ الظُّلمَةِ» (لوقا٢٢:٥٣)، وحينئذ تقدم الجنود للقبض عليه، وهنا ثار القديس بطرس واسـتخدم سـيفه بشـكل سـاذج فقطع أُذن العبد، وكاد الأمر أن يتـأزم، فقد يقوم الجنود بقتل التلاميذ، وربما لو قَتَل بطرس العبد ملخس، لأصبحت تهمة السيد المسيح هي أنه مثير شغب وأنه يرأس جماعة مسلحة..

موقف السيد المسيح:

قام الرب بإيقاف هذا الصـدام الخطر الذي في غير محله، تقدم ولمس أُذن العبد فشـــفاه، وكأني به يقول لهم: "كفي إلى هنا.. " «فأجابَ يَســـوعُ وقالَ: "دَعوا إلَى هذا!". ولَمَسَ أُذنَهُ وأبرأها» (لوقا٢٢:٥١)، ثُم كمن يوجّه كلامه للجمع الغاضـــب بأن تغاضـــوا عن رد الفعل العنيف الوحيد هذا، واتركوني برهة لأشفي الرجل..

«دَعوا إلَى هذا!».. عبارة مشـهورة في ذلك الوقت، وفي السياق هنا تعني:

للتلاميذ: لا تقاوموا هكذا..

للجنود: حلّوا وثاقي لدقائق..

https://coptic-treasures.com

للجموع: اصفحوا عن هذه الزلّة الصغيرة للتلميذ..

أمّا القديس بطرس هنا فهو يحاول بالسيف منع الصليب، كما حاول منعه من قبل بالكلام «حاشاكَ يا رَبُّ! لا يكونُ لكَ هذا!» (متى١٦:٢٢)، ولكن الرب يترفّق به مُجدَّدًا ويدفع عنه كارثة، مثلما ترفق بالعبد وشفاه..

«اجعَلْ سيفَكَ في الغِمدِ! الكأسُ الّتي أعطاني الآبُ ألا أشرَبُها؟» (يوحنا١٨:١١):

العبارة الأولى تعني: اقصر الشر.. عد إلى رشدك.. اهدأ.. تعقّل.. الخ. ويمكن للإنسان أن ينصح نفسه في مثل هذة الحالة، إذا روادته نفسه ليتكلم أو يهاجم أو يضرب، عندئذ فليقل لنفسه: "رد سيفك إلى غمده".

«الّذينَ يأخُذونَ السَّيفَ بالسَّيفِ يَهلِكونَ!» (متى٢٦:٥٢):

وهو المبدأ الذي وضعه السيد المسيح هنا ليكون تحذيرًا للأجيال، ومنها جاءت تعبيرات من قبيل "القاتل يُقتَل ولو بعد حين". ونرى ذلك بوضوح بين المجرمين والقتلة الذين اعتادوا حمل السلاح وارتكاب الجرائم، فهم غالبًا يظلون هكذا حتى يُقتلوا هم أيضًا. وعندما هجم البربر على الدير، وطلب بعض الرهبان من الأنبا موسى الأسود أن يهرب، لم يشأ ذلك بل أكد أنه سوف يُقتل، وعلّل ذلك بأن الكتاب يقول: "الذين يأخذون بالسيف، بالسيف يُؤخَذون"، ويمكن أن ينسحب ذلك ليس على القتل فقط،

https://coptic-treasures.com

وإنما على أيّة خطية مثل السـرقة والإدانة والظلم وغيرها، مثلما يُقال إن الجزاء من جنس العمل.

يروي أحد الضـباط الكبار أنه وبينما كان يشـرف على عملية إعدام مجرم قـاتـل، أن المجرم اعترف لـه بـأنـه اقترف في حيـاتـه حوالي ثلاثين جريمة قتل بالأجر لم تثبت عليه، وأن جريمة القتل التي سـيُنفَّذ فيه حكم الموت بسـببها تحديدًا هو بريء منها! وأنه يؤمن أن الله عادل وأن عقابه وإن تأخر إلّا أنه ينال عقابه أخيرًا.

السيد المسيح قرّر أن يشرب الكأس لآخرها، فقال: «مَملكَتي لَيسَتْ مِنْ هذا العالَمِ. لو كانتْ مَملكَتي مِنْ هذا العالَمِ، لكانَ خُدّامي يُجاهِدونَ لكَيْ لا أُسَلَّمَ إلَى اليَهودِ. ولكن الآنَ لَيسَتْ مَملكَتي مِنْ هنا» (يوحنا١٨: ٣٦). كما قال للقديس بطرس: «أتَظُنُّ أنّي لا أستَطيعُ الآنَ أنْ أطلُبَ إلَى أبي فيُقَدِّمَ لي أكثَرَ مِنِ اثنَيْ عشَرَ جَيشًا مِنَ المَلائكَةِ؟» (متى٢٦:٥٣). إن المسـيح ترفق حتى بـالآتين للقبض عليـه، مثلمـا احترم بيلاطس وهو يحاكمه، ومثلما قال ليهوذا "يا صاحب"... الخ.

هل آمن ملخس؟

لم يشر الكتاب إلى ملخس ثانية إلّا في دار رئيس الكهنة عندما اشتبه نسيب ملخس في القديس بطرس، وربما شعر بالخطر وأن الأمر يمكن أن

https://coptic-treasures.com

يتحول إلى كارثة، فهوذا الشخص الذي رفع السيف في البستان صار بينهم ضعيفًا يمكن الفتك به.

هناك إشارة شاردة في التاريخ يمكن من خلالها استنتاج أن ملخس آمن بالسيد المسيح، هذه الاشارة هي وجود قديس يدعى ملخس القنسريني (من دير قنسرين بسوريا)، ولا شك أنه سُمِّى بهذا الاسم لأن صاحبه مسيحي مؤمن، فقد استبعد الآباء استخدام الأسماء التي ارتبطت بمواقف غير نبيلة، مثل يهوذا وقيافا وغيرهم، ولكن بعد توبة ملخس صار الاسم محبوبًا، مثلما نعثر في التاريخ على أسقف حبشي باسم بيلاطس.

«الكأسُ الّتي أعطاني الآبُ ألا أشرَبُها؟» (يوحنا١٨: ١١):

هذه إشارة رائعة إلى أن الآلام والصليب هي بتدبير من الآب والابن، وليس بسبب التلاميذ ولا اليهود ولا الرومان ولا الخائن بمفردهم، وإن كان ذلك لا يعفيهم من أخطائهم، فيد الله فوق الكل وهو المدبِّر، وهو المحرِّك، ولا يمكن أن يحدث شيء إلا بسماح منه ولخيرنا.

لا تدافع عن المسيح بعرقية:

ومن الدروس التي نتعلمها من قصة ملخس، ألّا ندافع عن أنفسنا بمثل هذا العنف، ولا بأسلوب يعثر الناس فينا، مثل الشتم والسخرية وربما الضرب وربما السيف، فإن المشاكل لا تُحَل بقطع الرؤوس. لقد تسلمنا من الرب حمل الصليب لا السيف، فلا سيف الصليبيين أفادهم، ولا يليق أن

https://coptic-treasures.com

يوضع الصليب على السيوف والرماح، بل سلمنا الرب الحب والتسامح، ومقابلة الشر بالخير، لقد جاء عنه أنه عندما كان يُشتَم لم يكن يَشتِم عوضًا (١بطرسي٢:٢٣)، وأوصانا: «لا تُجازوا أحَدًا عن شَرٍّ بشَرٍّ... بارِكوا ولا تلعَنوا» (رومية١٢:١٧،١٤).

وهكذا كان المسيح نبيلًا في أقسى الظروف وأدقها...

https://coptic-treasures.com

صياح الديك وإنكار بطرس

«وصـاحَ الدّيكُ ثانيَةً، فتذَكَّرَ بُطرُسُ القَوْلَ الّذي قالهُ لهُ يَسـوعُ: «إنَّكَ قَبلَ أنْ يَصـيحَ الدّيكُ مَرَّتَينِ، تُنكِرُني ثَلاثَ مَرّاتٍ». فلَمّا تفَكَّرَ بهِ بَكَى» (مرقس١٤: ٧٢).

يرتبط صـياح الديك في حياتنا العادية بالبيئة والطيور والحميمية والشـراكة في البيت الواحد، كما يرتبط بقِسـم من الليل، يُسـمَى اصـطلاحًا "صـياح الديك"، وإن كان الديك يصـيح عادة ثلاث مرات خلال الليل (راجع مقال "صياح الديك وإنكار بطرس").

كما ارتبط صـياح الديك عندنا بإنكار القديس بطرس للسـيد المسـيح، ولعل ذلك الديك قد اتخذ شـهرة لم يأخذها ديك آخر! مثلما أخذت حية عدن شـهرتها، وكذلك حمار بلعام، وآتان وحمار رحلة أورشـليم، وكلب طوبيا، وحمامة وغراب نوح، ودبة أليشع، وحوت يونان، وغراب إيليا، وغيرها.

حذّر الرب يسـوع تلميذه من أنه سـينكره قبل صـياح الديك (مرقس١٤: ٣٠) وقد حدث، فعند صـياح الديك حانت من الرب التفاتة إلى تلميذه المسكين، فتذكر قول الرب وخرج خارجًا ليبكي بمرارة.

ربما كان معنى نظرة الرب له: "ألم أقل لك؟!"، كلّا!، بل أن ما قصـده الرب المحب هو: "لا بأس.. لا عليك (ولا يهمك)، لا تتضـايق.. لا تيأس..

https://coptic-treasures.com

إني أرثي لضـــعفك"، أو ربما أراد أن يقول له: "كنتُ عارفًا أنه من الممكن أن تضـعف، وكنتُ أشفق عليك من نتائج الضـعف، ولكن لا عليك فأمامنا مشــوار طويل ســوف تســيره معي، وســوف تعوّض ذلك، وســوف أحوّل ضعفك إلى قوة وتردّدك إلى جسارة ومجاهرة أكثر من الجميع، إني لا أنسى لك أنك رافقتني في محنتي أكثر من إخوتك"، وقد حدث ذلك بالفعل إذ أعاده الى رتبته وصــار الأشــجع بين الرسـل، فقد وبّخ اليهود جهرًا واتهمهم بقتل المســيح، وأعلن عن وجوب طاعة الله أكثر من الناس: «فأجابَ بُطرُسُ والرُّسُــلُ وقالوا: يَنبَغي أنْ يُطاعَ اللهُ أكثَرَ مِنَ النّاسِ» (أعمال٥: ٢٩).

إذًا لقد كان قول الرب له عن الإنكار تحذيرًا وليس تهديدًا...

وصـــار صـــياح الديك يمثّل لنا الانتباه إلى ما فاتنا، أو مراجعة ما صـــدر عنا. ولولا صـــياح الديكة في حياتنا لما انتبهنا إلى ورطتنا أو سـقوطنا، حتى نتوب، وقد لا يُصـلَح ما كُسِـر، ولكن لنقدم توبة ونحذر من السقوط من جديد.

أتخيل صـــياح الديك في صـــوت "المنبّه" الذي يلفت الانتباه إلى أننا تمادينا في النوم، وفي الصـوت الذي تصـدره السـيارة عندما تتجاوز السـرعة المقرّرة أثناء القيادة، أو صـفارة إنذار الحريق، أو إنذار لخزينة سـتُنهَب، أو أن شـيئًا أو سـيارة تقترب من سـيارتك. وأتخيله عند تنبيه أي شـخص لآخر بانه ارتكب خطأً أو مُقدِم على خطر.

https://coptic-treasures.com

صـياح الديكة أيضًـا وفي هذا الموعد في قصـة القديس بطرس، يعني أن الإنســـان ربما يتماســـك حتى وقت متأخر، ولكنه قد يهوي أخيرًا قرب الصباح، رغم أنه كان ساهرًا متيقظًا، فالشيطان قد يأتي هو الآخَر في آخِر الليل، ربما كان ينتظر الإنسان حتى يغفل أو يستنفذ كل الزيت الذي له في المصـباح. وقد يسمع الإنسـان صـياح الشـيطان شـامتًا، فقد قرأنا في سـير الآباء عن صياحٍ قبيحٍ للشيطان عقب سقوط راهب.

حدث ذلك مرة بعدما احتال الشـــياطين على مقاره الكاتب فأخرجوه من الروضـــة التي عاش فيها. ومع الراهب الذي أســـقطوه بحيلة رديئة، وحالما سـقط ضـحكوا بأصـوات قبيحة شـامتين به. ومثل الشـياطين أناس أشـرار ينصـبون الشباك لآخرين، ومتى سقطوا هزأوا بهم، إلى مثل ذلك أشار داود النبي حيث الاشرار الشامتين القائلين "هه هه": «فغَروا علَيَّ أفواهَهُمْ. قالوا: هَهْ! هَهْ! قد رأتْ أعيُنُنا» (مزمور ٣٥: ٢١).

صياح الديك هو أيضًا انتباه الإنسان بنفسه إلى تقصيره وإلى أخطائه، حتى وإن لم يَصِـحْ عليه أحد من الخارج، ويمكن اعتبار ذلك الصـياح هو صـوت الضـمير حين نشـعر أن هناك صـراخ في داخلنا، يبكتنا أو يحفّزنا. ومثلما يصـيح الديك بشـكل متواتر هكذا تأنيب الضـمير، والذي يكون أحيانًا كالمطرقة التي تدق باستمرار.

اذًا صـــياح الديك ليس للتبكيت فقط، وإنما للتحفيز على النهوض من جديد، لبداية جديدة كما أسلفنا.

https://coptic-treasures.com

وقد تعلمنا من القديس بطرس أنه متى صاح الديك علينا أن نسرع إلى البكاء والندم، وهذا هو الفرق بين رد فعل القديس بطرس ورد فعل يهوذا الإسخريوطي، مع ملاحظة أن الديك قد صاح ليهوذا بشكلٍ ما قبل أن يشنق نفسه، ذلك حين نبّهه الرب مرارًا «كان خيرًا لذلك الإنسان انه لم يكن قد وُلِد... ما أنت فاعله افعله بسرعة... يا صاحب لماذا جئت؟...»، ولما قال لرؤساء اليهود: «قد أخطأتُ إذ سلَّمتُ دَمًا بَريئًا»، فأجابه رؤساء اليهود بصوت أقرب إلى فحيح الافاعي: «ماذا علَينا؟ أنتَ أبصِرْ!» (متى٢٧: ٤)، عندها فقط انتبه يهوذا إلى أنه قد تم التغرير به، وأنه خُدِع، فخرج خارجًا ليس ليبكي، وإنما ليتخلّص من حياته بعد أن استكثر واستثقل ما فعله.

يمكننا دائمًا أن نتدارك الأخطاء مهما كانت بشاعتها، وذلك ما دمنا أحياء، ولكن لننتبه فإن مجرد استمرارنا أحياء ليس بكافٍ، فقد لا نفارق الحياة بخطايانا وإنما نصاب بالجنون مثلًا، وحينئذ لن تكون هناك لنا قدرة وعقل لكي نقدم توبة. وربما نفقد الذاكرة أو ندخل في غيبوبة ونعجز بالتالي أيضًا عن تقديم توبة، وعنئذ لن يستطيع محبونا وذوونا أن يقدموا توبة عنا.

هناك أناس في حياتنا يمثّلون لنا صياح الديكة، قد يكون هؤلاء من بين أصدقائنا المخلصين الأمناء، وقد يكونوا من أفراد عائلتنا أو جيراننا أو معلّمينا الروحيين، يفعلون ذلك حبًا فينا. إن كل من ينبهنا إلى خطأ ارتكبناه أو خطأ مقبلين عليه، هو في الواقع يقوم بعمل يشبه صياح الديك.

https://coptic-treasures.com

بل شبّه البعض الأب المدبّر في الحياة الديرية والروحية بالديك، حيث يقوم في عمل مماثل بدور الزعامة بين أولاده من جهة، يتقدمهم، ويدافع عنهم ويرشدهم، ويوقظهم في الأوقات المعينة من جهة أخرى.

إن صياح الديك قبل الخطأ يُعدّ مثل صفارة التحذير في السيارة عندما نقترب من سيارة أخرى أو حائط، أو حين يقترب الوقود من النفاذ، أو عطل حدث لها في الطريق. أو أن يتدنى مستوى شخص في الدراسة فتأتي العلامات الشهرية كصياح الديك. وهكذا إنذار الموظف الكسول وغيره.

لقد كان مثل هذا الصوت الذي يشبه صياح الديك، صوت الرب لقايين: «أين هابيلُ أخوكَ؟». وكان قد حذره من قبل بصوت مماثل «عِندَ البابِ خَطيَّةٌ رابِضَةٌ، وإلَيكَ اشتياقُها وأنتَ تسودُ علَيها» (تكوين٤:٧،٩)، ولا عجب في تشبيه صوت الرب بصياح الديك، فقد شُبِّه بالأسد والحمل.

وهو صوت يوحنا المعمدان، والذي لم يفتأ أن يردد أمام هيرودس وهيروديا: «لا يحل لك»، بل أن قطع رأسه لم يمنع تبكيته، فقد ظل يهتف بذات التحذير «لا يحل لك»، وقيل في التقليد إن هيرودس كان يقوم منزعجًا من النوم على صوت يوحنا يبكته.

وما حدث مع يوحنا – إذ يحاول البعض التخلص من صياح الديك الذي يمثّل له تبكيتًا – يحدث أيضًا مع المفكّرين والصحافيين والثوار، فيُقبَض عليهم وتُكسَّر أقلامهم وتُقطَع ألسنتهم، وتُخرَس أصواتهم، ولكن كل

https://coptic-treasures.com

هؤلاء يُقال عنهم « وإنْ ماتَ، يتَكلَّمْ بَعدُ!» (عبرانيين١١:٤)، فقد ورد عن هابيل أن دمه يتكلم وأن صـــوت دمه صـــاعد من الأرض: «فقالَ: ماذا فعَلتَ؟ صـوتُ دَمِ أخيكَ صـارِخٌ إلَيَّ مِنَ الأرضِ» (تكوين٤:١٠). وقد لا يستطيع الشخص المخطئ أن يتخلص أبدًا من ذلك الصوت المُبكِّت حتى وإن مات صاحبه، فقد طارد دم المسيح الزكي بيلاطس البنطي بقية حياته، وكان كلما خلد إلى النوم يقوم مذعورًا.

ومن الملفت أن الديك عندما ينبّه فإنه يصـــيح، أي أنه لا يهمس ولا يحادث أو يغني.. إنه يصيح في طلاقة ووضوح. هكذا يجب على كل من يقوم بالتنبيه أو التوبيخ أن يكون صـريحًا واضـحًا شـجاعًا، لا يجامل ولا يتردد ولا يستخدم أكثر من نغمة.

ومع ذلك فإن صـوت الديك جميل جدًا، مفرح ومشـرق، وواضـح جدًا، يسـمّونه الفصـيح (الديك الفصـيح من البيضـة يصـيح)، يبعث على الأمل وتجديد النشاط، وبداية حياة جديدة تُبعَث، فإن نور الفجر – بحسب العلماء – يُعَد عاملًا من عوامل الصـياح لبداية يوم جديد. هكذا كل من يقوم بدور الإرشـــاد او العتاب أو التدبير، يجب ألّا يكون منفِّرًا أو قبيحًا، فالناس عادة ما يرفضـون التوجيه متى جاء بطريقة جارحة مهينة، مَثَله مَثَل الأدوية التي تُغلَّف بالسـكر لكي تصـبح مقبولة، هكذا منظر الديك وصـوته وصـدقه واستمراره بلا ملل.

https://coptic-treasures.com

على أن هناك صـــياحًا بلا معنى ولا قيمة وفي غير وقته، يســـمونه ضـــجيجًا أو قعقعة بلا طحين، بمعنى أن هناك أصـــوات الطواحين تهدر بصـــوت مرتفع ومزعج بينما لا يوجد طحين خارج منها، أو ما قيل عن بعض الخراف: صراخ عالٍ دون عمل، أو صوف كثير ولحم قليل.

هناك أمهات جعلوا من صـياح الديك عملهم الأسـاسـي، يبكّتون على كل شـيء، ويشـمتون بعد كل خطأ، ويصـيحون دائمًا بأصـوات مرتفعة، وقد لا يكفّون عن الصـياح طوال اليوم على كل شـيء، ومع كل صـيحة تبكيتة وتنكيتة وتقريعة، وهم لا يختارون وقتًا معينًا مثل الديكة، ولكنهم مســـتعدون للصـــياح طوال الوقت. والأطفال مَثَلهم مَثَل الناس الذين يربّون الديكة والدجاج، قد يعتادون صـــياحها فلم تعد توقظهم من نومهم، بل صـــاروا ينامون على تلك الأصوات!

إذًا هناك في الحياة من يهوى عمل الديكة! حتى أنه يمكن أن يكون عدد الديكة التي تصـــيح من حولنا، أكثر من عدد الذين يحتاجون الى أن يتيقّظوا، حيث يميل الأكثرون الى حب التنبيه والتوبيخ. ومن ثَمّ فقد يحتاج الكثير من الديكة إلى ديكة أخرى لتوجيههم!

وقيل إن الديكة تصـــيح في الليالي المقمرة كثيرًا، أو مع وجود الضوضاء، وكذلك بسبب الخوف، كما أثبت اثنان من العلماء اليابانيين أن صـــياح الديك مرتبط في العادة بســـاعته البيولوجية، وان كانت الديكة قد

https://coptic-treasures.com

تحرك بعضـها البعض للصـياح. من هنا يمكن القول بأن البعض يصـيح لمجرد أن صاح الذين حوله، ربما دون أن يعرف السبب الحقيقي للصياح، صـاح مع الذين يصـيحون! كما يحدث أحيانًا في المظاهرات، أو الميديا، دون تحقق ودون أمانة (صياحًا مع الصائحين..).

صـياح الديك يمكن أن يكون التحذير الأخير، أو المرحلة قبل الأخيرة، حيث يمكن للإنسـان تدارك الموقف، ولعل قول الرب «إِنَّ كُلَّ مَنْ يَنظُرُ إِلَى امرأَةٍ لِيَشـتَهِيها، فقد زَنَى بها في قَلبِهِ» (متى٥:٢٨) يذكّرنا بذلك، أي أن الخطية قد أكملت مشـوارها الإرادي داخل الإنسـان، ولم يتبقَّ سـوى أن تتحول إلى فعل قائم، فجاء صوت الرب كصياح الديك.

كنيسة صياح الديك:

بُنِيت كنيسة صياح الديك المعروفة أيضًا بكنيسة القديس بطرس في منحدرات جبل صهيون عام ١٩٣١، ووفقًا للتقليد فإن هذا هو مكان قصر رئيس الكهنة قيافا حيث أُحضِر يسوع للحبس بعد اعتقاله، وقد أُطلق عليه اسم صياح الديك إشارة إلى قصة إنكار بطرس للسيد المسيح ثلاث مرات قبل صياح الديك مرتين.

تاريخ الكنيسة يشير إلى أن كنيسة بيزنطية بُنيت في ٤٥٧م ودُمِّرت في سنة ١٠١٠م، وأُعيد بناؤها في سنة ١٩٣١م. ويوجد تمثال في ساحة الكنيسة يصف أحداث إنكار بطرس للرب يسوع، فنرى بطرس والخادمة والجندي

https://coptic-treasures.com

الروماني، وتُظهر الكتابة أجزاء من لوقا الأصحاح ٢٢: «فأنكَرَهُ قائلًا: لَستُ أعرِفُهُ يا امرأةُ!» (لوقا٢٢:٥٧). ويظهر على الجانب الشمالي للكنيسة دَرَجٌ قديم يمكننا نزوله لنصل إلى وادي قدرون، ونرى صورة للرب يسوع مع تلاميذه وهم يعبرون وادي قدرون بعد العشاء، كما نرى صورة للرب يسوع وقد اقتاده العسكر بعد أن ألقوا القبض عليه إلى قيافا رئيس الكهنة. والتصميم الداخلي للكنيسة السُفلى يظهر لنا أن أجزاء منها قد حُفِرت في الصخر، كما تظهر إحدى الصور في الكنيسة السفلى إنكار بطرس، ويسوع والقيود في يديه، والديك. وتشهد كهوف عديدة في قبو الكنيسة وقد حُفِرت في الصخور الكائنة تحت البيوت في المدينة القديمة. وفقًا للتقليد فإن هذه الكهوف تضمّنت السجن الذي حبس فيه الرب يسوع بعد اعتقاله، ومن الجدير بالذكر أن هذه الكهوف الموجودة تحت الأرض هي أمر يُعتاد وجودها ضمن بيوت العصر الروماني، فقد كانت تُستخدم كمخازن وخزانات مياه وحمامات. نرى عدة صلبان بيزنطية محفورة أسفل القبو المقدس حيث يعتقد أن يسوع قد أُحتُجز فيه كما أُحتُجز فيه بطرس ويوحنا بعد قيامة الرب يسوع من الأموات على ما ورد في الأصحاح الخامس من سفر أعمال الرسل. كما توجد على الحيطان أيضًا صلبان إضافية وصلوات مكتوبة، كذلك نشاهد كهوفًا أخرى أسفل الكنيسة يرجع تاريخها لزمن الهيكل الثاني. (عن فيلم وثائقي عن تاريخ الكنيسة)

https://coptic-treasures.com

صِياحُ الديكِ في حياتِنا

«قالَ لهُ سِمعان بُطرُسُ: «يا سيِّدُ، إلَى أين تذهَبُ؟». أجابَهُ يَسوعُ: «حَيثُ أذهَبُ لا تقدِرُ الآنَ أنْ تتبَعَني، ولكنكَ ستَتبَعُني أخيرًا». قالَ لهُ بُطرُسُ: «يا سيِّدُ، لماذا لا أقدِرُ أنْ أتبَعَكَ الآنَ؟ إنّي أضَعُ نَفسي عنكَ!». أجابَهُ يَسوعُ: «أتَضَعُ نَفسَكَ عَنّي؟ الحَقَّ الحَقَّ أقولُ لكَ: لا يَصيحُ الدّيكُ حتَّى تُنكِرَني ثَلاثَ مَرّاتٍ» (يوحنا١٣: ٣٦-٣٨).

تبدو خطية القديس بطرس أصعب من خطية يهوذا الأسخريوطي، فقد كان يهوذا ساذجًا بل والأكثر سذاجة بين الشخصيات التي حول الصليب، ولكن القديس بطرس أنكر عن وعي ولثلاث مرات، بل سب ولعن: «فابتَدأَ حينَئذٍ يَلعَنُ ويَحلِفُ: إنّي لا أعرِفُ الرَّجُلَ!» (متى٢٦: ٧٤)، والاكثر من ذلك أنه كان قد وعد السيد المسيح بأنه مستعد أن يموت عنه (لأجله)، فعندما تحدث السيد عن موته المُزمع أن يكون قال له: «إنّي أضَعُ نَفسي عنكَ!» (يوحنا١٣: ٣٧)، وأكّد أنه وإن تركه الجميع فهو لن يتركه: «فقالَ بأكثَرِ تشديدٍ: ولَوِ اضطُرِرتُ أنْ أموتَ معكَ لا أُنكِرُكَ!» (مرقس١٤: ٣١)، «يا رَبُّ، إنّي مُستَعِدٌّ أنْ أمضيَ معكَ حتَّى إلَى السِّجنِ وإلَى الموتِ!»

https://coptic-treasures.com

(لوقا٢٢:٣٣). ثم رد عليه السيد المسيح بأسف ووداعة (وكأنه يربت عليه): «قَبلَ أنْ يَصيحَ الدّيكُ مَرَّتَينِ، تُنكِرُني ثَلاثَ مَرّاتٍ» (مرقس١٤: ٣٠). أن شجاعة بطرس لم تصل به إلى الموت عن المسيح ولا حتى السجن، ولكن فقط إلى المدفأة.. مع الجواري.. بل ولم يستطع أن يسهر مع المسيح ساعة واحدة.. فإنه لم تمضِ ثلاث ساعات حتى كان قد أنكره..

عندما سيق المسيح إلى دار رئيس الكهنة، حاول القديس بطرس الدخول (وكان التلاميذ قد هربوا)، فمنعوه لأنه لم يكن معروفًا عند رئيس الكهنة، أمّا القديس يوحنا والذي كانت تربطه صلة ما برئيس الكهنة، وكان قد سبق فدخل إلى الدار، ومن ثَمّ فقد توسّط في الغالب لبطرس، والذي دخل إلى المكان الذي شهد إنكاره للرب وتوبته. كان دخول القديس بطرس ليس على سبيل حب الاستطلاع، فالأمر خطير، ورؤساء الكهنة يجرون على المسيح حكم الموت، ولكنه كان يحب المسيح فعلًا.. ولا ننكر للقديس بطرس أنه وفّى بوعده «وإنْ شَكَّ فيكَ الجميعُ فأنا لا أشُكُّ أبدًا (إن تركك الجميع فأنا لا أتركك)» (متى٢٦:٣٣)، فقد هرب بقية التلاميذ فيما عدا هو والقديس يوحنا، وهما أيضا اللذان اتجها معًا للقبر فجر الأحد.

ولقد تعرّفت عليه الجارية حين جلس ليستدفئ لأن البرد كان قارسًا يومها، وبينما كان يوحنا بالقرب من حجرة الاستماع –وربما داخلها– كان بطرس يستدفئ، ولا شك أنه حول المدفاة دار حديث فرض نفسه وهو أحداث البستان والقبض على يسوع ومحاكمته التي تجري وقتها، وعندما

https://coptic-treasures.com

جاء الضـــوء الأحمر الخافت على وجه القديس بطرس، ظهر أنه جليلي، ربما بسبب الثياب، أو اللحية «وكانَ العَبيدُ والخُدّامُ واقِفينَ، وهُم قد أضـرَموا جَمرًا لأنَّهُ كانَ بَردٌ، وكانوا يَصـطَلونَ، وكانَ بُطرُسُ واقِفًا معهُمْ يَصـطَلي» (يوحنا١٨:١٨).

أنكر القـديس بطرس معلمـه ثلاث مرات، المرة الأولى التي تم فيهـا الإنكار كان أمام جارية أحسّـــت أنه غريب لأنه تكلم فعرفته من لكنته، وكانت لجنة الجليليين معروفة في اليهودية. والمرة الثانية عرفته الخادمة التي تسـلّمت نوبة عملها من سـابقتها، وهي التي أشـارت إلى أنه جليلي: «نَظَرَتْ إليهِ وقالَتْ: وأنتَ كُنتَ مع يَسوعَ النّاصِريِّ!» (مرقس١٤:٦٧).

أمّا المرة الثالثة فكانت أمام مجموعة من الجواري والخدم ومن بينهم خادم رئيس الكهنة، والذي كان معهم عند القبض على يسـوع في البسـتان، وتذكّر انه رآه هناك (وهو نســيب ملخس العبد الذي قطع بطرس أذنه ومن ثَمّ فهو لا يمكن أن يخطئه). وعند المواجهة قال بطرس للخادم: «يا إنسانُ، لَســتُ أعرِفُ ما تقولُ!» (لوقا٢٢:٦٠). وعند ذلك صـــاح الديك، وكانت المحاكمات قد انتهت والمسـيح يسـير في الدار مُقيَّدًا مع الجند، فحانت منه التفاتـه للقديس بطرس، ونظر إليـه بعتـاب رقيق وكـأنـه يقول لـه: "أمـا قلـتُ لك!"، وكان الرب قد حذر من أن الشـــيطان مزمع أن يغربلهم كالحنطة

https://coptic-treasures.com

«وقالَ الرَّبُّ: سِـــمعانُ، سِـــمعانُ، هوذا الشَّـــيطانُ طَلَبَكُمْ لكَيْ يُغَربِلكُمْ كالحِنطَةِ!» (لوقا٢٢: ٣١).

قد يبدو من تعبير "جارية" المســـتخدم في الأناجيل شـــيء من لهجة التحقير، إذ كيف ينكر المســيح هذا الشــخص العملاق قدام جارية شــابة ضـــعيفة خادمة، لا حول لها ولا قوة ولا ســـلطان، ولكن معظم النار من مستصـغر الشـرر، فقد تلفت الانتباه وقد تهيّج الآخرين، وإن كان هؤلاء لمّا سمعوا لم يفعلوا شيئًا، ولكن مجرد نباح كلب قد يثير المتاعب والحروب.

لم يكن اســـتخدام الجواري والإماء عادة للتعامل مع الضـــيوف قدر مســاعدة رب البيت. ولكننا نقرأ عن "رودا" وهي خادمة في بيت مار مرقس «فلَمّا قَرَعَ بُطرُسُ بابَ الدِّهليزِ جاءَتْ جاريَةٌ اســـمُها رَوْدا لتَســـمَعَ» (أعمال١٢:١٣). وللمرة الثانية يواجه القديس بطرس إحدى الجواري ولكن الوضـــع مختلف هنا، فقد تراجعت عن فتح الباب ليس اســـتنكارًا وإنما من شـــدة الفرح، إذ مضـــت لتخبر من بالداخل أن صـــلواتهم أُســـتُجيبت، وأن القديس بطرس من قد خرج من السجن.

صياح الديك:

تصـــيح الديكة على ثلاث مرات في الليل، الأولى: الحادية عشـــرة والنصـــف مســـاءً، والثانية عند الواحدة والنصـــف بعد منتصـــف الليل، وأمّا الثالثة فعند الثالثة والنصـــف صـــباحًا، وقد قُسِّـــم الليل في ذلك الوقت إلى

https://coptic-treasures.com

أربعة هُزُع (جمع هزيع)، الهزيع الأول يقع في الفترة ما بين السادسة مساءً وحتى التاسعة مساءً، والهزيع الثاني من التاسعة مساء وحتى الثانية عشرة (منتصف الليل)، والثالث من الثانية عشرة وحتى الثالثة صباحًا ويُطلَق عليه أيضًا "صياح الديك"، والهزيع الرابع من الثالثة صباحًا وحتى السادسة، وهكذا وصف الرب موعد مجيئه: «اِسهَروا إذًا، لأنَّكُمْ لا تعلَمونَ مَتَى يأتي رَبُّ البَيتِ، **أمساءً**، أم **نِصفَ اللَّيلِ**، أم **صياحَ الدّيكِ**، أم **صباحًا**» (مرقس١٣:٣٥). ومع ذلك تصيح الديكة في الليالي المقمرة كثيرًا، وفي وجود ضوضاء أو عند الخوف. وربما أشار الرب بصياح الديك إلى أمر من الاثنين: إمّا أن الإنكار سيتم قبل الثالثة صباحًا، أو أن العلامة التي تنبّهه أنه أنكر هي صياح الديك بالفعل.

ويرد في التلمود أن اليهود لم يكونوا يميلون إلى تربية الديكة نظرًا لنبشها في الروث، ولكن ذلك غير أكيد، فالدجاجة مذكورة كثيرًا في الكتاب المقدس، وقد شبّه الرب نفسه بالدجاجة «كمْ مَرَّةٍ أرَدتُ أنْ أجمَعَ أولادَكِ كما تجمَعُ الدَّجاجَةُ فِراخَها تحتَ جَناحَيها، ولَمْ تُريدوا!» (متى٢٣:٣٧). كما أن صياح الديك هنا هو دليل تربيتها في البيوت، ويروي التلمود أنه قد حُكِم بالرجم على ديك لانه تسبب في قتل طفل!

القديس بطرس يتوب:

ما أن نظر إليه الرب (لوقا٢٢:٦١)، حتى تذكر أن الرب «نبّهه قَبلَ أنْ يَصيحَ الدّيكُ مَرَّتَينِ، تُنكِرُني ثَلاثَ مَرّاتٍ» (مرقس١٤:٣٠)، فخرج

https://coptic-treasures.com

خـارجًـا وبكى بكـاءًا مرًا (متى٢٦:٧٥ ؛ لوقـا٢٢:٦٢)، وهي عبـارة مؤثرة جدًا، فهي تعني الانتحاب بشـدة وبصـوت عالٍ،كيف وقع في هذه الخطية الشـــنعاء، وخذل الرب عدة مرات؟ لقد شـــكّ فيه وكاد أن يغرق (متى١٤: ٣١)، وفي البســـتان تركه ونام (متى٢٦:٤٠)، وعند القبض على معلمه اقترف فعلـة كـادت أن تؤدي لكـارثـة للتلاميـذ (يوحنـا١٨:١٠)؛ وهنـا أنكره بسباب ولعن! ولكن بكاءه غسله، وحنّن قلب الرب عليه، فالدموع ثمينة جدًا عند الله.

إذًا ليســـت المشـــكلة في الخطية وإنما في عدم التوبة. الخطية لها علاج، لهـا دواء، ولكن اليـأس هو الـذي لا علاج لـه. لقد وقع يهوذا في اليأس وهو أصـــعب من الإنكار ولذلك فقد الرجاء ومات هالكًا، بل إن موقف الانكار والندم جعل من بطرس رجلًا شـــجاعًا لا يخاف، بل جاهد وكـانـت توبتـه أعظم بكثير من خطيئتـه، ويقول الآبـاء: "إن اللـه لن يـديننـا لأننا أخطأنا، ولكنه ســـيديننا ما لم نتب بعدما أخطأنا". **وبعبارة أخرى فإن الخطورة ليســـت في مجرد أن نخطئ ولكن في ثلاث: ألّا نتوب ونعتذر، وألّا نتعلم من أخطـائنـا، وأن نعـاود الخطيـة مرة أخرى.** ويقول بعض الفلاسفة: "من جهلنا نخطئ ومن أخطائنا نتعلم إذ ليس إنسان كامل".

قبول توبة المُنكِرين:

دار نقاش كبير بين الآباء عقب عصـر الاضـطهاد الكبير، حول قبول الذين أنكروا الإيمان بسـبب العذابات. وكان البعض يرى ألّا يُقبَلوا من جديد

https://coptic-treasures.com

في الشركة، بينما رأى آخرون أنه يمكن قبولهم شريطة أن تُعاد معموديتهم. ولكن الكنيسة قرّرت أنه يجوز قبول الراجعين إلى الله بعد الإنكار، وألّا تعاد معموديتهم، لأننا نؤمن بمعمودية واحدة بحسب تعليم الكتاب والآباء، فقد قال القديس بولس: «رَبٌّ واحِدٌ، إيمانٌ واحِدٌ، مَعموديَّةٌ واحِدَةٌ» (أفسس٤: ٥)، وقال أيضًا: «لأَنَّ الّذينَ استُنيروا مَرَّةً، وذاقوا المَوْهِبَةَ السماويَّةَ، وصاروا شُرَكاءَ الرّوحِ القُدُسِ، وذاقوا كلِمَةَ اللهِ الصّالِحَةَ وقوّاتِ الدَّهرِ الآتي، وسَقَطوا، لا يُمكِنُ تجديدُهُمْ أيضًا للتَّوْبَةِ» (عبرانيين٦: ٤-٦). وطالب الشهيد كبريانوس الجاحدين أن يقدموا توبة بتواضع، معترفين بخطاياهم إذ داسوا إكليل الشهادة بأقدامهم، وقد ترك باب التوبة مفتوحًا أمام الجميع لكن بغير تهاون، فقد حرص على تأكيد أمومة الكنيسة التي تلد المؤمنين وتربّيهم وتؤدبهم وتقدم لهم الحضن الأبوي. ولكن النموذج الأعظم في قبول توبة المنكرين هو السيد المسيح نفسه، الذي أفسح المجال للقديس بطرس وقبل توبته، وأعاد اليه رتبته الرسولية حين قال له: «أتُحِبُّني؟... رعَ غَنَمي» (يوحنا٢١: ١٧).

بل صار القديس بطرس أحد الأعمدة الثلاثة للكنيسة، ووعظ وخلص كثيرين، واؤتُمِن على إنجيل الختان، بل أول معجزة صنعها الله مع الرسل كانت على يديه، وهي شفاء رجل مقعد مدة أربعين سنة امام الهيكل (أعمال٣: ١، ٤: ٢٢)، وجاهر بالايمان، ومات مصلوبًا مُنكَّس الرأس، وكأنه خجل مما حدث منه مع المسيح في محاكمته، فرأى أنه غير مستحق أن يُصلَب مثله.

https://coptic-treasures.com

خطية الإنكار:

يستنكر الكثيرون منا أنهم قد أنكروا المسيح من قبل بأيّة طريقة من الطرق، ولكن قد يقع إنسان ما في هذه الخطية الكريهة دون أن يدري، فالإنكار له درجات وأشكال، منها:

+ **انكار بتحاشي الكلام الذي قد يفصح عن هوية الشخص الدينية،** وقد رأى البعض أن القديس بطرس كان بإمكانه اتباع تلك الطريقة لأنها ليلة تشي بخطر كبير، وهي طريقة يتبعها البعض تلافيًا للتعرُّض لاضطهاد أو قتل أو تعيير.

+ **إنكار من خلال الاعتذار عن الدخول في نقاش حول الأمور الايمانية،** متظاهرًا الشخص بالدبلوماسية والرغبة في الاحتفاظ بالصداقة وتحاشي المباحثات الغبية! ولكن الكتاب يوصينا أن نكون مستعدين لذلك: «بل قَدِّسوا الرَّبَّ الإلهَ في قُلوبِكُمْ، مُستَعِدّينَ دائمًا لمُجاوَبَةِ كُلِّ مَنْ يَسأَلُكُمْ عن سَبَبِ الرَّجاءِ الّذي فيكُم، بوَداعَةٍ وخَوْفٍ» (١بطرس٣:١٥). فإن العزوف عن ذلك من شأنه أن يزيد من الهواجس داخل الآخرين، ويزيد من الهوة بيننا، والإنسان عدو ما يجهله!

+ **الإنكار عن طريق السلوك المعثر والذي يجلب العار على الاسم القدوس:** «أما هُم يُجَدِّفونَ علَى الاِسمِ الحَسَنِ الّذي دُعيَ بهِ علَيكُم؟» (يعقوب٢:٧). ومن هذا النوع أولئك الذين يدرسون اللاهوت ويسلكون

https://coptic-treasures.com

سلوكًا شائنا، الذين يجاهرون بالعلوم الكنسية ولكن سلوكهم معثر، سلوكهم يحطم إيمانهم، مثل خادم أو خادمة توجد فجوة كبيرة بين ما يقولون وما يفعلون: «لهُمْ صورَةُ التَّقوَى، ولكنهُمْ مُنكِرونَ قوَّتَها. فأعرِضْ عن هؤُلاءِ» (٢تيموثاوس٣: ٥).

+ **ونوع من الناس ما أن يتعرض لأقل ضغط**، سواء من شرطة، أو من شخص خارج على القانون، أو متطرف ديني، **حتى يتهاوى وينكر إيمانه** جزئيًا عن طريق تخلّيه عن بعض من القضايا الإيمانية، وقد ينكر مسيحيته كليًا، وقد حدث ذلك في التاريخ لا سيما في فترات الاضطهاد.

+ **نوع ينكر عمليًا ونظريًا**، وذلك عندما يترك المسيح ويجحد الإيمان، ويتحول إلى دين اخر، سواء أكان ذلك بسبب عاطفة رديئة، أو مشكلة أسرية، أو تحاشيًا لسجن، أو للتخلص من دين مالي، أو في بعض ظروف قاسية في السجن الخ..

ولكن لكل من هذه الانواع من الإنكار علاج، والكنيسة تفتح قلبها للجميع، وكثير من المنكرين الذين تابوا صاروا أشداء في الايمان وعضدوا بدورهم كثيرين، إذ صارت لهم خبرة كبيرة في التعامل مع مثل تلك الحروب. وفي كل ذلك يفعل الرب مثلما فعل مع القديس بطرس: «ففي الحالِ مَدَّ يَسوعُ يَدَهُ وأمسَكَ بهِ وقالَ لهُ: يا قَليلَ الإيمانِ، لماذا شَككتَ؟» (متى١٤: ٣١).

https://coptic-treasures.com

ورد في التاريخ الكنسي عن أحد تلاميذ القديس باخوميوس أنه اشتهى يومًا أن ينال إكليل الشهادة، ولمّا عرض رغبته على القديس نصحه بألّا يسلم نفسه إلى المضطهدين لأنه ضعيف ولم تصل قامته بعد إلى الاستشهاد، غير أنه أصرّ، وعندئذ سمح له القديس. ولكن التلميذ ما أن رآه بعض البرابرة وكانوا يرقصون حول نار أشعلوها استعدادًا لتقديم ذبيحة بشرية، حتى هجموا عليه يصيحون بأنهم وجدوا من يقدمونه ذبيحة، وهنا أنكر أنه مسيحي أو أنه سمع أصلًا عمن يُدعى المسيح! فلما أخلوا سبيله عاد باكيًا للقديس، الذي لاطفه وشجعه حتى استعاد قوته وتاب عن خطية الإنكار.

وبينما يوجد أشخاص ينهارون تحت أول ضغطة، فإن آخرين قبلوا الموت وغلبوا الضعف وغلبوا السيف، ومنهم القديس بطرس بعد القيامة والخماسين.

وهناك أشخاص ليسوا محسوبين على المسيحية، ولكنهم مسيحيون بالقلب، مثلما كانت هناك طائفة تُدعى: "خائفو الرب" ومنهم كرنيليوس وآخرون، وعندما يعلن هؤلاء إيمانهم يكونون أقوى وأعظم من كثيرين، وعن مثل هؤلاء ما جاء في قصة شفاء غلام قائد المئة: «فلَمّا سمِعَ يَسوعُ تعَجَّبَ، وقالَ للّذينَ يتبَعونَ: الحَقَّ أقولُ لكُمْ: لَمْ أجِدْ ولا في إسرائيلَ إيمانًا بمِقدارِ هذا!» (متى٨: ١٠).

https://coptic-treasures.com

هكذا ترك القديس بطرس لنا مثالًا في كيفية تجاوز محنة الإنكار، بينما ترك لنا الرب مثالًا في كيفية إعانة الساقط حتى ينهض، فقد منحه الرب جرعة كبيرة من الحب والثقة بالنفس، حتى يستعيد رسوليته ويبدأ الخدمة النارية المزمع أن يمجد بها الله ويجتذب الكثيرين إليه، وبعد الرؤيا التي رآها على السطح لم يعد يخاف بل صار يجاهر بالمسيح بين الأمم وليس اليهود فقط، وتحقق قول الرب له: «ولكني طَلَبتُ مِنْ أجلِكَ لكَيْ لا يَفنَى إيمانُكَ. وأنتَ مَتَى رَجَعتَ ثَبِّتْ إخوَتَكَ» (لوقا٢٢: ٣٢).

https://coptic-treasures.com

اللصُّ الشمـال

«وكانَ المُجتازونَ يُجَدِّفونَ علَيهِ وهُم يَهُزّونَ رؤوسـهُمْ قـائلينَ: «يـا نـاقِضَ الهَيكـلِ وبـانيَـهُ في ثَلاثَـةِ أيّـامٍ، خَلِّصْ نَفسَـكَ! إنْ كُنتَ ابنَ اللهِ فانزِلْ عن الصَّـليبِ!». وكذلكَ رؤَساءُ الكهنةِ أيضًا وهُم يَستَهزِئونَ مع الكتبةِ والشُّيوخِ قالوا: «خَلَّصَ آخَرينَ وأمّا نَفسُـهُ فما يَقدِرُ أنْ يُخَلِّصَـها! إنْ كانَ هو مَلِكَ إسـرائيلَ فليَنزِلِ الآنَ عن الصَّـليبِ فنؤمِنَ بهِ! قد اتَّكلَ علَى اللـهِ، فليُنقِذهُ الآنَ إنْ أرادَهُ! لأنَّـهُ قـالَ: أنـا ابنُ اللهِ!». وبذلكَ أيضًـا كانَ اللِّصّـانِ اللَّذانِ صُـلِبا معهُ يُعَيِّرانِهِ». (متى٢٧: ٣٩-٤٤).

«واللَّذانِ صـذُلِبا معهُ كانا يُعَيِّرانِهِ» (مرقس١٥: ٣٢).

اعتـدنـا الحـديـث عن اللص اليمين وامتـداحـه كثيرًا، فهو الـذي آمن بالمسـيح وعاين مجده ودافع عنه واسـتنكر عقابه، في حين بكّت نفسـه معترفًا بأنه مسـتحق العقاب (نحن بعدل جوزينا)، وكافأه الرب بأن وعده «إنَّـكَ اليومَ تكونُ مَعي في الفِردَوْسِ»، وفي أسـبوع الآلام نرتـل لأمـانتـه (أمانة اللص). أمّا اللص الشـمال فلا نعرف عنه الكثير سـوى أنه اشـترك في التجديف ومات على إنكاره. فمن هو هذا اللص، والذي بحسـب التقليد كان على شمال المخلص؟

https://coptic-treasures.com

وقد انضـــم اللصـــان في الغالب إلى حزب الغيوريون، والســـؤال الذي يطرح نفســـه هنا، هل الغيورون تحوّلوا إلى لصـــوص للحصـــول على احتياجاتهم مادامت ليست لهم مصادر، أم هم في الأساس لصوص تواروا خلف الغيرة الدينية؟

حزب الغيورين:

غيور في العربية ويُقال Zealot زيلوت بالعبرية، وأصـلها اليوناني هو ζηλωτής، وهو الحزب اليهودي المســـلح والذي أطلق عليه يوســـيفوس لقب "حملة الخناجر"، وربما كان يهوذا الجليلي هو مؤســـســـه، حيث جعل من "فينحاس بن إلعازر" مثلًا أعلى لهم، بســـبب غيرته للرب ومن حيث مدح الرب لهذه الغيرة (راجع ســفر العدد٢٥:٧-١٣). وقد نادى يهوذا بعدم جواز إعطاء الجزية للرومان، وذلك عندما بدأ الرومان في عمل الإحصـــاء سنة ٦ ق.م، حيث صرّح بأن أرض إسرائيل مقدسة، فلا يُعطى نتاجها لأي ملك أرضـى، بل أن الرب هو فقط المُتوَّج ملكًا لإسرائيل.

هذا وقد ظن غمالائيل الفريســي أن بطرس وبقية الرســل يتبنّون حركة كتلك التي تبناها "يهوذا بن أزيكياس Judas ibn Ezekias"، وكذلك تلك التي تبناها ثيوداس (أعمال٥:٣٥-٣٩)، وبالتالي فلا يجب أن يتخذوا موقفًا منهم بل ليتركوهم ليلاقوا نفس المصـــير، ولكنه كان مخطئًا في ذلك، مثلما أخطأ آخرون في ظنهم أن يســـوع المســـيح كان يؤيد هذه الحركة باختياره ســمعان الغيور أحد أعضـــائها ليصـــبح واحدًا من تلاميذه، ولكن الواقع أن

https://coptic-treasures.com

سمعان قد نبذ العنف فانضم إلى تلاميذ يسوع، كما أن السيد المسيح أوصى بتقديم الجزية للقيصر «فقُلْ لنا: ماذا تظُنُّ؟ أيَجوزُ أنْ تُعطَى جِزيَةٌ لقَيصَرَ أم لا؟». فعَلِمَ يَسوعُ خُبثَهُمْ وقالَ: «لماذا تُجَرِّبونَني يا مُراؤونَ؟ أروني مُعامَلَةَ الجِزيَةِ». فقَدَّموا لهُ دينارًا. فقالَ لهُمْ: «لمَنْ هذِهِ الصّورَةُ والكِتابَةُ؟». قالوا لهُ: «لقَيصَرَ». فقالَ لهُمْ: «أعطوا إذًا ما لقَيصَرَ لقَيصَرَ وما للهِ للهِ». فلَمّا سمِعوا تعَجَّبوا وتَرَكوهُ ومَضَوْا» (متى٢٢:١٧-٢٢). والقديس بولس طالب باحترام السلطان «حتَّى إنَّ مَنْ يُقاوِمُ السُّلطانَ يُقاوِمُ ترتيبَ اللهِ، والمُقاوِمونَ سيأخُذونَ لأنفُسِهِمْ دَينونَةً» (رومية١٣:٢)، كما أوصى معلمنا بولس بعد ذلك بالخضوع للسلاطين وعدم مقاومة السلطات (راجع رومية١٣:١،٢؛ وتيطس٢:١،٢)، وكذلك معلمنا بطرس الرسول (١بطرس٢:١٢-٢٠).

هذا وقد تعاطف قطاع كبير من الشعب من حركة الغيورين، نظرًا لكثرة المظالم التي تعرضوا لها من الرومان، وقد قام الغيورون بالكثير من الثورات استخدموا فيها السلاح، والذي كان عبارة عن سيف قصير يحفظونه داخل أكمامهم ثم يندسّون بين الآخرين ليفاجئوهم، واستمروا هكذا حتى استولوا على أورشليم سنة ٦٦م، حيث اُضطُرَّ الرومان إلى حصار المدينة حتى سنة ٧٠م. ثم اقتحموها مُحدِثين داخل المدينة خرابًا ودمارًا وويلات لا حصر لها، وجلبوا على الأمة مصائب لا حصر لها انتهت بتدمير أورشليم والهيكل وشتات اليهود. أمّا آخر حصونهم فقد كان "قلعة

https://coptic-treasures.com

مسـادا" والتي سـقطت سـنة ٧٣م. وبينما نجحت ثورة المكابيين بقيادة متتيا الكاهن وهو الغيور، فقد فشـلت محاولات الغيورين بل وأتت بنتائج عكسـية، وجرّت الأمة إلى هوّة الضياع.

قُبِض علي اللص الشـــمال خلال ثورة قام بها الغيورون، وكان باراباس قائدهم على الأرجح، وبينما استمر سجن باراباس لأهميته للمساومة عليه مع اليهود عند الضـرورة، فإن اللصـين لم يكونا ذوي أهمية مثله، ومن ثَمّ سُـلِّما للقتل ضـــمن المحكوم عليهم خلال احتفالات الفصـــح، حيث كان بيلاطس يحضـر من مقره في قيصـرية إلى أورشـليم لمتابعة الاحتفالات، وأثناء تواجده ينظر في القضـايا التي تُحجَز له للبتِّ فيها، وقد أصـدر أحكامًا بالموت على البعض منهم يسوع الناصري واللصان اللذان صُلِبا معه.

في البداية اشـترك اللصـان مع الجموع والرؤسـاء والجند في السـخرية من المسيح، وعندما يقول الكتاب: «وبذلكَ أيضًـا كانَ اللِّصّـانِ اللَّذانِ صُـلِبا معهُ يُعَيِّرانِهِ»، فالمقصود أنهما اشتركا مع الجموع في نفس السخرية وهي:

- «يا ناقِضَ الهَيكلِ وبانيَهُ في ثَلاثَةِ أيّامٍ، خَلِّصْ نَفسَكَ!».
- «خَلَّصَ آخَرينَ وأمّا نَفسُهُ فما يَقدِرُ أنْ يُخَلِّصَها!»
- «خَلِّصْ نَفسَكَ وانزِلْ عن الصَّليبِ!»
- «إنْ كانَ هو مَلِكَ إسرائيلَ فليَنزِلِ الآنَ عن الصَّليبِ فنؤمِنَ بهِ!»
- «قد اتَّكلَ علَى اللهِ، فليُنقِذهُ الآنَ إنْ أرادَهُ! لأنَّهُ قالَ: أنا ابنُ اللهِ!»

https://coptic-treasures.com

(راجع: متى٢٧: ٤٠؛ مرقس١٥: ٢٩-٣٢؛ لوقا٢٣: ٣٥-٣٩).

ولكن اللص اليمين تحول بعد قليل عن السخرية وبدأ في انتهار الآخر بأنهما بعدل جوزيا، أما هذا المصلوب فماذا فعل؟.

ربما نظر اللص الشمال إلى نفسه باعتباره ثائرًا وغيورًا، بينما نظر إلى يسوع على أنه مرفوض من اليهود، وأنه - أي اللص الشمال - له شرف الموت من أجل أورشليم والهيكل، ولكن اللص أُمسِك عن عينيه فلم يرَ المخلص على بعد عدة أقدام منه!.. «وكانَ واحِدٌ مِنَ المُذنِبَينِ المُعَلَّقَينِ يُجَدِّفُ علَيهِ قائلًا: «إنْ كُنتَ أنتَ المَسيحَ، فخَلِّصْ نَفسَكَ وإيّانا!». فأجابَ الآخَرُ وانتَهَرَهُ قائلًا: «أوَلا أنتَ تخافُ اللهَ، إذ أنتَ تحتَ هذا الحُكمِ بعَينِهِ؟ أمّا نَحنُ فبعَدلٍ (جوزينا)، لأنَّنا نَنالُ استِحقاقَ ما فعَلنا، وأمّا هذا فلَمْ يَفعَلْ شَيئًا ليس في مَحَلِّهِ». ثُمَّ قالَ ليَسوعَ: «اذكُرني يا رَبُّ مَتَى جِئتَ في ملكوتِكَ»...» (لوقا٢٣: ٣٩-٤٢).

وأغلب الظن أن هذا اللص لم يكن شريرًا تمامًا ولا غير متدين، وهذه هي المأساة، إنه متعصب وقد أعمى التعصّب عينيه، فأغلق قلبه دون الحق.. وكثيرون باسم الدين والغيرة يقترفون الخطايا والسخافات، ولكنهم عند الموت يرتدعون ويتضعون ويظهرون منكسرين، أو يلتزمون الصمت، ولكن هذا اللص كان متجاسرًا متطاولًا حتى في دقائقه الأخيرة، إلى هذا الحد كان قلبه قاسيًا! لقد أصرّ على العناد والرفض وهو ماضٍ إلى الموت،

https://coptic-treasures.com

فأيّة قضـــية أو غاية يموت لأجلها؟!... هل ظن أنه شـــهيد قضـــية وأنهم سيخلِّدونه؟!

بين اللصين:

لقد رأيا ما رأيا معًا.. وسمعا ما سمعا معًا، الواحد تاب واعترف وطلب الغفران والنصـيب الصـالح مع المسـيح، وأمّا الآخر فقد رفض ذلك.. وبينما شـجع الرب اللص اليمين ديماس ووعده بنصـيب الشـهداء والتائبين، فإنه لم يوبّخ اللص الشمال "جيساس أماخوس"، ولم يردّ على سخريته، ومثله ايضا رؤساء اليهود والجنود الذين سخروا منه ومن آلامه.

يذكرني ذلك بشـــخص يعاتبونه كثيرًا بســـبب بعده عن الله والكنيســـة ولكنه يســـخر منهم، وعلى فراش المرض قد يحاولون إنهاض قلبه للتوبة والتناول ولكنه يرفض بشـدة، ويموت في خطاياه... هكذا بكّت الرب يسـوع اليهود الذين يرفضـــونه ويموتون في خطاياهم «فقُلتُ لكُمْ: إنَّكُمْ تموتونَ في خطـاياكُمْ، لأنَّكُمْ إنْ لَمْ تؤمِنوا أنّي أنـا هو تموتونَ في خطـاياكُمْ» (يوحنـا٨: ٢٤)، مع أن القديس أغســـطينوس قال: "هناك حياة من خلال نظرة واحدة إلى المصلوب".

https://coptic-treasures.com

هل شعر هذا اللص بالاستنكار أن يُحسب المسيح مثله (بدرجة ثائر!) وهو الرجل الثائر الغيور؟ وهل شـــعر أن المســـيح عَجّل بموته عندما أمر بيلاطس بصـلب لصـين معه؟! إن هناك من يتضـع في ضـيقه وهناك من يزداد قســوة، ولعل ذلك يتضـــح من خلال زيارات المســـجونين حيث يقدم البعض توبة صادقة قد تتفوق على الكثيرين ممن هم بعيدون عن الجريمة.

أخيـرًا...

يقولون: "جميعنا لصـــوص" من أكثر من زاوية، على الأقل من خلال سلب الله الوقت والعشور، وأحيانًا نسرق مجد الله نفسه، ونظل هكذا حتى النهاية، لآخر وقت، ولكن هل نموت لصـوصًـا أم تائبين؟ هل نُحسَـب مع الذين على الشـــمال أم اليمين؟ فإن الواحد ندم فتاب، وأمّا الآخر فقد تمادى في الرفض. وللذين يجاهدون يقول القديس أغســـطينوس: "لا تيأس أحد اللصين خلص، ولا تغترّ فاللص الآخر هلك".

إن المنظر يصـوّر أمامنا مشـهدًا من مشـاهد الدينونة، حيث يمثّل اللص اليمين الخراف الذين عن يمين السيد، بينما يمثّل اللص الشمال الجداء الذين عن الشمال، بحسب ما صرّح السيد المسيح: «ومَتَى جاءَ ابنُ الإنسانِ في مَجدِهِ وجميعُ المَلائكَةِ القِدّيســـينَ معهُ، فحينَئذٍ يَجلِسُ علَى كُرســـيِّ مَجدِهِ. ويَجتَمِعُ أمامَهُ جميعُ الشُّـــعوبِ، فيُمَيِّزُ بَعضَـــهُمْ مِنْ بَعضٍ كما يُمَيِّزُ الرّاعي

https://coptic-treasures.com

الخِرافَ مِنَ الجِداءِ، فيُقيمُ الخِرافَ عن يَمينِهِ والجِداءَ عن اليَســـارِ. ثُمَّ يقولُ المَلِكُ للّذينَ عن يَمينِهِ: تعالَوْا يا مُبارَكي أبي، رِثوا الملكوتَ المُعَدَّ لكُمْ منذُ تأسيسِ العالَمِ... ثُمَّ يقولُ أيضًا للّذينَ عن اليَسارِ: اذهَبوا عَنّي يا مَلاعينُ إلَى النّارِ الأبديَّةِ المُعَدَّةِ لإبليسَ ومَلائكَتِهِ... فيَمضـــي هؤُلاءِ إلَى عَذابٍ أبديٍّ والأبرارُ إلَى حياةٍ أبديَّةٍ» (متى٢٥: ٣١-٤٦).

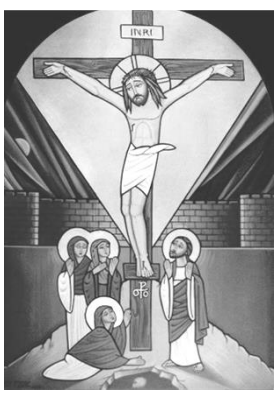

https://coptic-treasures.com

إنشقّ حجاب الهيكل

(متى٢٧: ٥١؛ عبرانيين٦: ١٩، ٢٠)

أمور مدهشة حدثت عندما مات السيد المسيح علي الصليب: الأرض تزلزت، الشمس أظلمت، الصخور تشقّقت، القبور تفتّحت، وحجاب الهيكل انشق إلى نصفين من أعلى إلى أسفل.

والحجاب هو الساتر الذي يبلغ ارتفاعة ثمانية عشر مترًا، وسُمكه عشرة سنتميرات، ويفصل بين القدس وقدس الأقداس، حيث لا يعبر أي انسان إلى الداخل، حتى رئيس الكهنة نفسه يدخل مرة واحدة وتُربط قدماه بحبال بيضاء، يحمل وعاء الفحم ووعاء البخور، ولا يكون هناك أي ضوء سوى الخافت المنبعث من الفحم.

كان قدس الأقداس يحتوي في الخيمة على تابوت العهد مغطى، وفوقه كاروبان يظلّلان عليه، وداخله قسط المن ولوحا الشريعة وعصا هارون، ولكن هذه المحتويات اختفت عند سبي بابل، وبعد العودة واستئناف العبادة في الهيكل كان التابوت الموضوع يحتوي فقط على حجر يُسمّى "حجر الأساس"، ونسخة من الشريعة.

https://coptic-treasures.com

كان وجود الحجاب يعني أن الإنســـان معزول عن الله، وغير طاهر أي غير مُســـتأهَل، لذلك لا يجوز له أن يدخل. لم يكن يُســـمح فقط إلّا لرئيس الكهنة بالدخول ليقدم ذبيحة عن نفسه وعن الشعب.

ولكن موت السيد المسيح مهّد الطريق إلى الأقداس إلى الله، وقد مهّده السـيد المسـيح بسـفك دمه، وهو ما عبّر عنه القديس بولس الرسـول قائلًا: «فإذْ لنا أيُّها الإخوَةُ ثِقَةٌ بالدُّخول إلَى «الأقداسِ» بدَمِ يَســـوعَ (الذبيحة الكفاريـة)، طَريقًا (إلى الله) كرَّسَـــهُ لنا حَديثًا حَيًّا (أي من دم ولحم)، بالحِجابِ (غير المنظور) أيْ جَسَدِهِ» (عبرانيين١٠: ١٩، ٢٠).

ويري القديس بولس الرسول ومن بعده الآباء أن انشقاق حجاب الهيكل جاء مع موت السـيد المسـيح حيث كان قد أشـار: «انقضـوا هذا الهيكل»، فهو الذي شقّ لنا طريقًا إلى الآب من خلال هذا الحجاب، إذًا فقد كان لابد أن ينشـق الحجاب بموت السـيد المسـيح. ليس ذلك فحسـب وانما لينتهي الهيكل اليهودي كله وليس الحجاب فقط.

وقيل نقلًا عن الربيين إنه ســـيأتي وقت تُفتَح فيه أبواب القدس من تلقاء نفسـها، وهذه الإشـارة الموجودة (من فوق إلى أسـفل) تعني أن الأمر جاء من فوق، فأزال النظام اليهودي القديم. ولم تكن المشكلة في الطقوس والأعياد، بل في المعنى المنحرف الذي سار به اليهود، حتي رفض الرب ذبائحهم.

بل كان انشـقاق حجاب الهيكل نبوة عن أحداث رهيبة سـتحدث سـنة ٧٠م على يد الرومان حيث يتدمّر القدس والمدينة بكاملها.

https://coptic-treasures.com

وانشقاق حجاب الهيكل يعني أن الله انفتح على الإنسان، والله هو الذي يبدأ دائمًا، هو الذي يبادر، هو الذي تطلّع من السماء على بني البشر وتحنّن عليهم، ونزل إلى أرضنا وسكن معنا، يسعى في خلاصنا «لأَنَّ اللهَ هو العامِلُ فيكُم أَنْ تُريدوا وأَنْ تعمَلوا مِنْ أجلِ المَسَرَّةِ» (فيلبي٢: ١٣).

إن الخطية هي التي تفصل الإنسان عن الله، وتقيم حاجزًا كثيفًا فيما بينه وبين الله، ولكن لأن الإنسان عاجز فإن الله هو الذي بدأ... وهكذا بالتجسد حيث أتى من فوق إلى أرضنا، مثلما حدث الانشقاق من أعلى إلى أسفل.

الحجاب الآن:

أنتم ترون على الهيكل ما يُسمّى بـ"الحجاب"، وهو في الواقع اسمه "حامل أيقونات" (ايقوناستاسز). والغرض منه ليس حجب الله عن الناس كما كان في القديم «حَقًّا أنتَ إلهٌ مُحتَجِبٌ يا إلهَ إسرائيلَ المُخَلِّصَ» (إشعياء٤٥: ١٥)، بل ليمتلئ بالأيقونات والتي هي قطع حيّة تجمع بين ما هو إلهي وما هو بشري، ولتصوِّر لنا أن السماء قد صارت قريبة منا جدًا. وفي الأيقونات نرى هؤلاء الذين سبقونا إلى السماء، وتحوّلوا ليجعلوا وجوههم نحونا ليشجعونا (صارت السماء في متناول أيدينا). ومن ثَمّ يجب ألّا يكون هذا الحامل مجرد مجموعة من الوحدات الزخرفية من الرخام والخشب، وإنما لوحة ضخمة من الأيقونات تحملها قوائم تُسمّى حامل الأيقونات...

https://coptic-treasures.com

هكذا بمفارقة السيد المسيح للهيكل القديم، فتح الباب للأمم من خلال الهيكل الجديد. وبانتهاء الهيكل اليهودي والذبائح الدموية بذبيحة السيد المسيح، بدأ عهد جديد. وعندما ترك اليهود السيد المسيح على الصليب ليقدموا خروف الفصح، كانوا مخطئين لأن السيد المسيح هو فصحنا الحقيقي، اسمعوا ما يقوله القديس بولس الرسول عن السيد المسيح: «الّذي هو لنا كمِرساةٍ للنَّفسِ مؤتَمَنَةٍ وثابِتَةٍ، تدخُلُ إلَى ما داخِلَ الحِجابِ، حَيثُ دَخَلَ يَسوعُ كسابِقٍ لأجلِنا، صائرًا علَى رُتبَةِ مَلكي صادَقَ، رَئيسَ كهَنَةٍ إلَى الأبدِ» (عبرانيين ٦:١٩،٢٠).

«لأنَّهُ هو سلامُنا، الّذي جَعَلَ الِاثنَينِ واحِدًا، ونَقَضَ حائطَ السّياجِ المُتَوَسِّطَ، أيِ العَداوَةَ. مُبطِلًا بجَسَدِهِ ناموسَ الوَصايا في فرائضَ، لكَيْ يَخلُقَ الِاثنَينِ في نَفسِهِ إنسانًا واحِدًا جديدًا، صانِعًا سلامًا، ويُصالِحَ الِاثنَينِ في جَسَدٍ واحِدٍ مع اللهِ بالصَّليبِ، قاتِلًا العَداوَةَ بهِ » (أفسس٢:١٤-١٦).

https://coptic-treasures.com

لماذا تُقرأ مراثي إرميا عند دفن السيد المسيح؟

المسيح ومراثي إرميا

في بداية صلوات الساعة الثانية عشرة من يوم الجمعة الكبيرة، نقرأ نبوات اختارتها الكنيسة من مراثي إرميا النبي، وسفر يونان النبي. فيونان يشير إلى السيد المسيح والذي قال بوضوح بفمه الطاهر: «لأَنَّهُ كما كانَ يونانُ في بَطنِ الحوتِ ثَلاثَةَ أيّامٍ وثَلاثَ لَيالٍ، هكذا يكونُ ابنُ الإنسانِ في قَلبِ الأرضِ ثَلاثَةَ أيّامٍ وثَلاثَ لَيالٍ» (متى١٢:٤٠). أما قراءتنا لمراثي إرميا فهي أشبه ما يكون برثاء الأموات عند الدفن، كما هو واضح من العنوان "مراثي"، والرثاء هو المشاركة والتأثر للآخر، والشفقة على ما آل إليه حاله (فنذكر مآثره ونرثي لحاله). وكنموذج للمرثيات قديمًا، يوجد الكثير في كتاب الموتى الفرعوني، ولكننا نجد في الكتاب المقدس أيضًا نماذج كثيرة من المرثيات، مثل رثاء يوشيا: «ورَثَى إرميا يوشيّا. وكانَ جميعُ المُغَنّينَ والمُغَنّياتِ يَندُبونَ يوشيّا في مَراثيهِمْ إلَى اليومِ، وجَعَلوها فريضَةً علَى إسرائيلَ، وها هي مَكتوبَةٌ في المَراثي» (٢أخبار٣٥:٢٥). وهكذا عندما مات يوناثان المكابي: «ونَاحَ عَليهِ كُلُّ إسرائيلَ نَوْحًا عَظيمًا، ونَدَبوهُ أيامًا كَثيرةً» (١مكابيين١٣:٢٦). وكان الرثاء عادة معروفة على نطاق واسع «لذلكَ هكذا قالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ إلهُ الجُنودِ: في جميعِ الأسواقِ

https://coptic-treasures.com

نَحيبٌ، وفي جميعِ الأزِقَّةِ يقولونَ: آهِ! آهِ! ويَدعونَ الفَلّاحَ إلَى النَّوْحِ، وجميعَ عارِفي الرِّثاءِ للنَّدبِ» (عاموس٥:١٦). بل أن أن سفر أيوب الصديق بكامله هو مرثية طويلة، وكان يُرتَّل بلحن رثائي سُمِّي لاحقًا بـ"لحن أيوب"، حيث نجد بعضًا من أجزاء القداس الكيرلسي تُقال بـ"لحن أيوب".

وهذا نموذج للمراثي في الكتاب المقدس، مرثية داود لشاول في مدخل سفر صموئيل الثاني:

«الظَّبيُ يا إسرائيلُ مَقتولٌ علَى شَوامِخِكَ. كيفَ سقَطَ الجَبابِرَةُ! لا تُخبِروا في جَتَّ. لا تُبَشِّروا في أسواقِ أشقَلونَ، لئَلّا تفرَحَ بَناتُ الفِلِسطينيّينَ، لئَلّا تشمَتَ بَناتُ الغُلفِ. يا جِبالَ جِلبوعَ لا يَكُنْ طَلٌّ ولا مَطَرٌ علَيكُنَّ، ولا حُقولُ تقدِماتٍ، لأنَّهُ هناكَ طُرِحَ مِجَنُّ الجَبابِرَةِ، مِجَنُّ شاوُلَ بلا مَسحٍ بالدُّهنِ. مِنْ دَمِ القَتلَى، مِنْ شَحمِ الجَبابِرَةِ لَمْ ترجِعْ قَوْسُ يوناثانَ إلَى الوَراءِ، وسَيفُ شاوُلَ لَمْ يَرجِعْ خائبًا. شاوُلُ ويوناثانُ المَحبوبانِ والحُلوانِ في حَياتِهِما لَمْ يَفتَرِقا في موتِهِما. أخَفُّ مِنَ النُّسورِ وأشَدُّ مِنَ الأُسودِ. يا بَناتِ إسرائيلَ، ابكينَ شاوُلَ الّذي ألبَسَكُنَّ قِرمِزًا بالتَّنَعُّمِ، وجَعَلَ حُليَّ الذَّهَبِ علَى مَلابِسِكُنَّ. كيفَ سقَطَ الجَبابِرَةُ في وسَطِ الحَربِ! يوناثانُ علَى شَوامِخَكِ مَقتولٌ. قد تضايَقتُ علَيكَ يا أخي يوناثانُ. كُنتَ حُلوًا لي جِدًّا. مَحَبَّتُكَ لي أعجَبُ مِنْ مَحَبَّةِ النِّساءِ. كيفَ سقَطَ الجَبابِرَةُ وبادَتْ آلاتُ الحَربِ!» (٢صموئيل١:١٩-٢٧).

وفي المآتم قديمًا – وكما هو مُشار إليه في العهد القديم – كانت هناك مهنة النادبات، حيث تقوم بعض النادبات بمحاولة للتعبير عن أحزان أهل

https://coptic-treasures.com

الميت، فيفرغون شـــحنة الحزن والعواطف المخزونة داخلهم، لا ســـيما وأن بعضـــهم يتماســـك في البداية ويُســـبِّب ذلك خطرًا لاحقًا عليه بســـبب الكبت، وعن صموئيل النبي يقول الكتاب: «وماتَ صَموئيلُ، فاجتَمَعَ جميعُ إسرائيلَ ونَـدَبوهُ ودَفَنوهُ في بَيتِـهِ في الرّامَـةِ. وقـامَ داوُدُ ونَزَلَ إلَى بَرّيَّـةِ فـارانَ» (١صموئيل٢٥: ١).

عندما نرتل مراثي إرميا بطريقتها المؤثرة المعروفة، فإننا نتذكر معها أن المسيح الذي مات على الصليب، هو نفسه الذي كَتَبَ عنه إرميا النبي، ونحن نبكيه ونرثيه ونلتفّ حوله تلك الليلة، نعتذر له ونهديه أرقّ عواطفنا ومشاعرنا، بل ونبكي أنفسنا فيه.

+ وقد اختارت الكنيسة الأصحاح الثالث من هذا السفر، والذي يذكر فيه أنه (إرميا الحقيقي) رأى المذلة، من اليهود والجنود: **«أنـا هو الرَّجُلُ الّذي رأى المَذَلَّةَ»**، وســـار في الظلمة حيث قُبِر، هكذا جاء في المراثي: **«سَـــيَّرَني في الظُلمـةِ لا في النُورِ»**، وكان هذا اليوم بكامله طويلًا جدًا، نســـميه الجمعة الطويلة، والجمعة العظيمة، والكبيرة، وجمعة الصـــلبوت، وجمعة الآلام، والجمعة المقدسة، وغيرها. يقول إرميا النبي:

+ **«أبلى لَحمي وجِلدي وسَـحَقَ عظامي»**: في إشـارة إلى تهرُّؤ اللحم والجلد من قسـوة جلد المسـيح بالسـياط، وأمّا عن كسـر العظام أو سـحق العظام، فمعروف أن السيد المسيح بتدبيره قرّر ألّا يُكسَر عظمٌ منه كما هو

https://coptic-treasures.com

واضح من طقس خروف الفصح، في إشارة إلى سلامة الجسد الواحد، ولكن سحق العظام هنا هو تعبير عن الإذلال والمرارة الداخلية: «صَرَخْتُ إِلَى الصَّباحِ. كالأَسَدِ هكذا يُهَشِّمُ جميعَ عِظامي. النَّهارَ واللَّيلَ تُفنيني» (إشعياء٣٨: ١٣).

+ ويذكر إرميا النبي المرارة أو العلقم والأفسنتين، فهي رمزية وحرفية، فقد قدموا للسيد المسيح خلًّا ومُرًّا: «أعطَوْهُ خَلًّا مَمزوجًا بمَرارَةٍ ليَشرَبَ. ولَمّا ذاقَ لَمْ يُرِدْ أنْ يَشرَبَ» (متى٢٧: ٣٤). أمّا الآلام النفسية فهي مرارة وعلقم أيضًا، فيُقال إن فلانًا مُرّ النفس، ونحن نعلم أن السيد المسيح عانى من الآلام النفسية كثيرًا منذ ولادته ولكن بشكل أكثر خلال أسبوع الآلام، فقد تركه التلاميذ وخانه يهوذا وأنكره بطرس، وصاح اليهود عليه "اصلبه اصلبه"، وسخر منه الجنود، سواء الرومان أو جند الهيكل، وغيرها فقال: «نَفسي حَزينَةٌ جِدًّا حتَّى الموتِ!» (متى٢٦: ٣٨؛ مرقس١٤: ٣٤).

+ **«ثَقَّلَ سِلْسِلَتي»**: إشارة إلى تقييد السيد المسيح أثناء المحاكمة، وأثناء ترحيله إلى هيرودس، وأثناء الجلد، وأخيرًا وهو مصلوب. غير أن تثقيل السلسلة أيضًا يشير إلى المبالغة في التثقيل عليه من كل جهة.

+ **«صِرتُ ضُحكَةً لكُلِّ شَعبِي»**: فقد سخر منه اليهود وتضاحك الجنود عليه، وجثوا على ركبهم أمامه كما يفعل العبيد أمام الملك، ولكنهم فعلوا ذلك سخرية منه، مثلما سخر هيرودس أنتيباس منه بطلبه منه إجراء معجزة على

https://coptic-treasures.com

سبيل التسلية، ذلك قبل أن يضع عليه ثوبًا من أرجوان على سبيل السخرية أيضًا، مثلما سخر الرومان منه بوضع لافتة مكتوب عليها: «ملك اليهود»...

+ **«صِرتُ... أُغْنيةً لهمْ (تلاوتهم) النهارَ كُلَّهُ»**: عانى السيد المسيح كثيرًا من الآلام النفسية، لا سيما ليلة الجمعة ونهارها، ما بين المحاكمات الدينية والمدنية، وصراخ الشعب، واستهزاء الجنود. وأمّا تعبير "صرت أغنية لهم" فيُقصَد به "الهجو"، مثلما نسمع عن قصائد الهجو مقابل قصائد المدح. وهناك فرق بين أغنية لشخص أو أغنية على شخص (وفي الأدب الشعبي يُقال: "يغني عليه" أو يخدعه ويسخر منه). هذا فعله الجند وبعض اليهود عندما كانوا يجثون له سخرية: «وضَفَروا إكليلًا مِنْ شَوْكٍ ووضَعوهُ علَى رأسِهِ، وقَصَبَةً في يَمينِهِ. وكانوا يَجثونَ قُدّامَهُ ويَستَهزِئونَ بهِ قائلينَ: السَّلامُ يا مَلِكَ اليَهودِ!» (متى٢٧: ٢٩).

+ **«إنَّهُ مِنْ إحساناتِ الرَّبِّ أنَّنا لَمْ نَفنَ»**: بينما ذهبت نفس الرب يسوع إلى الجحيم لتخلّص المأسورين، كان الجسد في القبر ولكنه لم يفسد **(لَمْ يَفنَ)**، إذ أن اللاهوت مرتبط بكل منهما فلم يفارق أيًّا منهما: «لأنَّكَ لن تترُكَ نَفسي في الهاويَةِ ولا تدَعَ قُدّوسكَ يَرَى فسادًا» (أعمال٢: ٢٧). بل أنه عندما

https://coptic-treasures.com

نزل المسيح إلى أقسام الارض السفلى، تزلزلت الأبواب وسقطت المتاريس، وخلص الماسورين هناك.

ثم يأتي الحديث في المراثي عن الرجاء...

+ **«صـالِحٌ هو الربُّ للذينَ يترجّونَهُ. طَيِّبٌ هو للنفسِ التي تطلُبُهُ. وتتوقَّعُ بسُكُوتٍ خلاصَ الربِّ»:** هذا يعطينا رجاءً وقت الضيق، فبعد الشدّة يأتي الفرج، وبعد الظلمة يشـــرق النور، وبعد الآلام تأتي القيامة: «لأَنَّكُمْ تحتاجونَ إِلَى الصَّـــبرِ، حتَّى إذا صَـــنَعتُمْ مَشـــيئَةَ اللهِ تنالونَ المَوْعِدَ» (عبرانيين١٠:٣٦). وفي كثير من المزامير يتحدث داود النبي عن خلاص الرب واســتجابته، في نفس الوقت الذي يبكي فيه ويشــكو: «أحمَدُكَ لأَنَّكَ استَجَبتَ لي وصِـرتَ لي خَلاصًـا» (مزمور١١٨:٢١). كان طريق الآلام أشـــبه بنفق طويل مظلم، ولكن نورًا خافتًا يظهر في نهايته، إنه الأمل والرجاء «برأيِكَ تهديني، وبَعدُ إِلَى مَجدٍ تأخُذُني» (مزمور٧٣:٢٤).

ثم يقول الراثي:

+ **«جَيِّدٌ للرَّجلِ أنْ يحملَ النيرَ مِنْ مُنذُ صِـبائِهِ»:** هكذا فعل السـيد المســيح الذي تألم منذ جاء إلى أرضـــنا، لقد جاء ليطلب ويخلص ما قد هلك، وقد كلفه ذلك أن يتألم كثيرًا ويموت، وقد طلب منا الرب أن نحمل نيره «اِحمِلوا نيري علَيكُمْ... لأَنَّ نيري هَيِّنٌ وحِملي خَفيفٌ» (متى١١:٢٩،

https://coptic-treasures.com

٣٠). ولكن النير هنا إشارة واضحة للصليب الذي حمله الرب عنا فأزال اللعنة بالصليب، ليس ذلك فحسب، وإنما كانت معاناة المسيح وآلامه قد بدأت منذ كان جنينًا، حيث ارتحلت أمه مع يوسف النجار إلى بيت لحم وهو ما يزال في بطنها ليولد في مذود، وتستمر رحلة آلامه النفسية حتى الموت على الصليب، ومن ثَمّ فكل من أراد ان يتبع المسيح عليه أن يحمل الصليب «ودَعا الجَمعَ مع تلاميذِهِ وقالَ لهمْ: مَنْ أرادَ أنْ يأتيَ ورائي فليُنكِرْ نَفسَهُ ويَحمِلْ صَليبَهُ ويَتبَعني» (مرقس٨: ٣٤).

.....

إرميا والمسيح:

يوصف إرميا بالنبي الباكي، وقد بكى بالفعل على أورشليم ورثاها قائلًا: «يا لَيتَ رأسي ماءٌ، وعَينَيَّ يَنبوعُ دُموعٍ، فأبكيَ نهارًا وليلًا قَتلَى بنتِ شَعبي» (إرميا٩: ١)، وبكى السيد المسيح أيضًا على أورشليم: «وفيما هو يَقتَرِبُ نَظَرَ إلَى المدينةِ وبَكَى علَيها قائلًا: إنَّكِ لو عَلِمتِ أنتِ أيضًا، حتَّى في يومِكِ هذا، ما هو لسَلامِكِ! ولكن الآنَ قد أُخفيَ عن عَينَيكِ» (لوقا١٩: ٤٢،٤١)؛ وهكذا بكي كلاهما على أورشليم. كان إرميا النبي يعرف كم سيحل من دمار على أورشليم، حيث يُسبى الشعب وتتدمّر المدينة وتصبح خرابًا، وهكذا في المقابل نبّه السيد المسيح اليهود قائلا: «فإنَّهُ ستأتي أيّامٌ ويُحيطُ بكِ أعداؤُكِ بمِترَسَةٍ، ويُحدِقونَ بكِ ويُحاصِرونَكِ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ،

https://coptic-treasures.com

ويَهدِمونَكِ وبَنيكِ فيكِ، ولا يترُكونَ فيكِ حَجَرًا علَى حَجَرٍ، لأنَّكِ لَمْ تعرِفي زَمانَ افتِقادِكِ» (لوقا١٩: ٤٣، ٤٤).

وقال إرميا النبي متنبئًا عن المسيح: «وأنا كخَروفٍ داجِنٍ يُساقُ إلَى الذَّبحِ، ولَمْ أعلَمْ أنهُم فكَّروا علَيَّ أفكارًا، قائلينَ: لنُهلِكِ الشَّجَرَةَ بثَمَرِها، ونَقطَعهُ مِنْ أرضِ الأحياءِ، فلا يُذكَرَ بَعدُ اسمُهُ» (إرميا١١: ١٩)، وهكذا أيضًا تنبأ إشعياء النبي عن السيد المسيح: «ظُلِمَ أمّا هو فتذَلَّلَ ولَمْ يَفتَحْ فاهُ. كشاةٍ تُساقُ إلَى الذَّبحِ، وكنَعجَةٍ صامِتَةٍ أمامَ جازّيها فلَمْ يَفتَحْ فاهُ» (إشعياء٥٣: ٧). وهو ما حدث مع السيد المسيح في صمته أثناء المحاكمات، وتعرُّضه للذل دون أن يدافع عن نفسه، حتى أن بيلاطس نفسه تعجب من صمته أمام جميع الاتهامات.

وبينما تكلم إرميا النبي عن ترك الشعب للينبوع الحي قائلًا: «لأنَّ شَعبي عَمِلَ شَرَّينِ: تَرَكوني أنا يَنبوعَ المياهِ الحَيَّةِ، ليَنقُروا لأنفُسِهِمْ أبآرًا، أبآرًا مُشَقَّقَةً لا تضبُطُ ماءً» (إرميا٢: ١٣)، هكذا قال السيد المسيح للمرأة السامرية: «كُلُّ مَنْ يَشرَبُ مِنْ هذا الماءِ يَعطَشُ أيضًا. ولكن مَنْ يَشرَبُ مِنَ الماءِ الّذي أُعطيهِ أنا فلن يَعطَشَ إلَى الأبدِ، بل الماءُ الّذي أُعطيهِ يَصيرُ فيهِ يَنبوعَ ماءٍ يَنبَعُ إلَى حياةٍ أبديَّةٍ» (يوحنا٤: ١٣، ١٤).

.....

إرميا والمسيح والجُب:

https://coptic-treasures.com

أُلقِي إرميا في الجب ولكنه خرج سـليما: «فأخَذوا إرميا وألقوهُ في جُبِّ مَلكيّا ابنِ المَلِكِ، الّذي في دارِ السِّـجنِ، ودَلّوا إرميا بحِبالٍ. ولَمْ يَكُنْ في الجُبِّ ماءٌ بل وحلٌ، فغاصَ إرميا في الوَحلِ» (إرميا٣٨:٦)، وفي المراثي يؤكد على ذلك قائلا: «قَرَضـــوا في الجُبِّ حَياتي وألقَوْا علَيَّ حِجارَةً» (مراثي٣:٥٣)، وهكذا السيد المسيح أُلِقي في القبر (مثلما أُلقِي يونان النبي – والذي كان يشـــير إليه – في بطن الحوت). وكما خرج كل من يونان وإرميا ســالميْن ونجيا من الموت، هكذا قام الرب من بين الأموات ظافرًا، إذ لم يكن ممكنًا أن يُمسَك منه.

.....

إننا نرثي أنفســـنا فيه، ونفخر أننا ننتســـب إليه، ونقرأ ونرتل ألحانه وأخباره بعذوبة وتأثر وحياء. إن المراثي في ذلك اليوم تعكس الوقار الذي تتناول به الكنيسة قضية موت المسيح ودفنه، مُقدِّمة له اعتذارًا نبيلًا عمّا تحمّله وكان في الحقيقة اســـتحقاقنا نحن. وهي تأتي في نهاية يوم الجمعة الطويلة لتضـفي على المشـهد وقارًا، وتصـهر الشـعب كله في رثاء راقٍ ليسوع المصلوب عنا، وكأنها أيضًا مشاركة للنسوة المخلصات اللائي تبعنه حتى القبر.

https://coptic-treasures.com

رَشم عَلامَة الصَّليب

للمسيحية رموز كثيرة تتجاوز العشرة، منها الصليب، والسمكة، والهلب، والطاووس، والنسر، والكرمة، والسنبلة، والراعي، وغيرها، ولكن أصبح الصليب رمزًا للمسيحية منذ صرّح السيد المسيح بأن على من يتبعه أن يحمل صليبه، وكذلك يفتخر القديس بولس بصليب المسيح، وصرّح الرب يسوع أن علامة ابن الإنسان سوف تظهر في السماء عند المجيء الثاني «وحينَئذٍ تظهَرُ عَلامَةُ ابنِ الإنسانِ في السماءِ» (متى٢٤:٣٠)، ويؤكّد يوحنا الحبيب في مدخل سفر الرؤيا. ويفسّر الآباء مثل القديس يوحنا ذهبي الفم والقديس كيرلس الكبير، أنها علامة الصليب، مثلما ورد في سفر النشيد «وعَلَمُهُ فوقي مَحَبَّةٌ» (نشيد٢:٤).

يقول القديس يوحنا ذهبي الفم: "كما ان ملاك النقمة أهلك جميع أبكار المصريين ولم يهلك الموسومين بدم خروف الفصح، فأيّ شيء يوضع عليه صليب الرب لا يقترب إليه المُفسِد". وجاء في دائرة المعارف الكتابية أن المسيحيين الأوائل كانوا يتعارفون برشم علامة الصليب. ويقول القديس أمبرسيوس: "لا تقوى الكنيسة أن تقوم دون الصليب، كما لا تقدر السفينة أن تبحر دون سارية".

https://coptic-treasures.com

هذا ويرجع استعمال رشم الصليب إلى الرسل، فإنهم أمروا أن نرشم على جباهنا علامة الصليب بإيمان قلبي في كل حين ليهرب الشيطان منا، تمامًا كما جعل موسى دم خروف الفصح علامة على بيوت الإسرائليين، فلم يضرب الملاك المُهلِك أبكارهم كما ضرب أبكار المصريين. والآثار والتاريخ يشهدان أن المسيحيين الأوائل كانوا يعلّقون في أعناقهم صلبانًا...

عندما بدأ المؤمنون في رشم علامة الصليب منذ العصر المسيحي الأول، كان على الجبهة فقط، بالأصبع كاملة، ثم بضم الأصابع بحرف اليوتا على الجبهة فقط أيضًا مرة واحدة أو ثلاث مرات، وهو ما ذكره التقليد الرسولي، والعلّامة أوريجانوس، والعلّامة ديديموس الضرير، والقديس يوحنا ذهبي الفم، والقديس كيرلس الأورشليمي، والقديس باسيليوس الكبير.

ثم بهذه التركيبة (أي ضم الاصبع) على الجبهة والبطن والكتف الشمال ثم اليمين، بينما اعتادت الكنيسة اليونانية أن ترشم الصليب من اليمين إلى الشمال مُعتبِرة أن المسيح هو الذي يرشم الإنسان وليس الإنسان يرشم نفسه.

وفي وقت لاحق بدأ المؤمنين في رسمه (وشمه) على جباههم وأيديهم وبعض أجزاء من الجسد، ثم تعليقه على الصدور. وهو أمر سابق لما أمر به لاحقًا بعض الولاة العرب، سواء بحمل الصليب الثقيل في الأعناق كنوع

https://coptic-treasures.com

مـن العقـاب والإذلال، أو كنـوع مـن التمييـز عـن المسلميـن، أو كـلا الأمريـن معًا.

يقول العلّامة أوريجانوس (١٨٥-٢٤٥م): "إنها العلامة التي يضـعها المسـيحيون على جباههم، سـواء قبل الصـلاة، أو قبل قراءة الاسـفار المقدسـه". وهذا ما يؤكده القديس باسـيليوس الكبير (٣٣٠-٣٧٩م) قائلًا: "تعلمنا من التقليد أن نرسم الصليب على جبهتنا وعلى سائر الأمكنة".

وهكذا يتضـح أمامنا ان رسم الصـليب كما نرسمه اليوم على الجبهة ثم القلب ثم الكتفين، هو تقليد قديم للغاية، ذلك لأن ما يذكره القديس أمبروسيوس (٣٣٩-٣٩٧م) ربما يشير إلى ذلك، فيقول: "نرسم الصـليب على جبهتنا، ثم على قلبنا. نرسـمه على جبهتنا حتى نعترف علنًا بالمسـيح، وعلى قلبنا حتى نظل نحبه، ونرسمه على ذراعنا حتى يكون عملنا له (لمجده)".

ولكن اسـتقر رشـم الصـليب على الجبهة فالقلب فالكتف الشـمال ثم اليمين منذ القرن السـادس تقريبًا...وأمّا الذين اعتادوا رشـمه على الجبهة فقد فعلوا ذلك افتخارًا بالمسيح المصـلوب، ليدلوا على أن الصـليب هو عنواننا، ولولاه لهلكنا «وأمّا مِنْ جِهَتي، فحاشـا لي أنْ أفتَخِرَ إلّا بصَـليبِ رَبّنا يَسـوعَ المَسـيحِ» (غلاطية٦: ١٤). وأمّا رشـمه على الفم فلكي يتقدس وينطق بكل ما يليق وما هو حق وشهادة. وعلى الصدر ليحفظ كل ما في الداخل.

https://coptic-treasures.com

والصليب هو فاتحة كل شيء وكل عمل وكل مكان... بدء الصلاة وبدء العمل وعند التقديس، وعند الدخول والخروج، وعند الطعام، وعند الخوف، وعند التعجب يرشمه الناس (متسائلين!).

وعند رشم الصليب نقدم الإيمان الثالوثي، فهو يعلن الآب والابن والروح القدس، ثم يؤكد أن الثلاثة هم إله واحد، وأمّا الختام فهو: "آمين"، وهي لفظة تعني التصديق أو الحق أو التأمين. ويرى البعض أنه عند رشم الصليب وعندما تضم ثلاثة من الأصابع معًا، فهي تشير إلى اتحاد الاقانيم، وعندما تضم أصبعين أحدهما إلى الآخر فإن ذلك يشير إلى اتحاد الطبيعتين معًا في التجسد.

إن أول ما يتلقنه الأطفال من والديهم أو من الإشبين هو رشم علامة الصليب، وفيها التثليث والتوحيد وشرحه، إذ يحفظون الثلاثة أقانيم ثم يؤكدون على الوحدانية "باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين.

ونحن نعلّم أولادنا رشم الصليب عند النوم وعند الاستيقاظ، لا ذواتهم فقط وإنما حولهم من كل جهة، لطرد كل فكر رديء وكل روح شرير، فإن الشيطان ينزعج جدًا من علامة الصليب لدرجة أن آباء البرية ينصحون الشخص برشم ذاته، لا ما يراه أمامه من مناظر، لئلّا يهيّج الشيطان الذي يذكّره رشم الصليب بهزيمته وموت الموت وخلاص الإنسان. ويرشم الصليب كذلك على الطعام وعلى الثياب والكتب وقبل الحديث وغيرها.

https://coptic-treasures.com

كذلك فإن رشـم علامة الصـليب فيه اعتراف بموت الرب عنا على الصـليب، علامة الصـليب جعلت موت المسـيح ليس قصـة تاريخية بل حقيقة حاضرة دائمًا.

قال الأب بولس البوشـي (القرن الثالث عشـر): "رأيت أحد الإخوة مرّة وهو ملتهب بنار الحنق، وكأنه تحوَّل إلى سـبع، ولكنه ما أن رشـم ذاته بعلامة الصليب حتى سكن غضبه، وكأن نزل عليه ندى السماء، وصار إلى التواضـع. ولمَّا سـألته قال لي: إن شـيخًا من برية أنبا مقاره علَّمه أن يتذكر موت المسيح كلما اشتعل غضبه، وأن يرشم ذاته بالعلامة المحيية، لأنها تجلب المحبة والصفح إلى القلب، وأنه منذ أن أطاع معلِّمه وهو يتقدم باستمرار في التغلب على نار الغضب، لأنها تبرد برشم علامة الصليب".

ويقول القديس الأب يوحنا من كرونستادت: "إن الشياطين ترتعب من منظر الصـليب، وحتى من مجرد الإشـارة به باليد، لأن السـيد المسـيح له المجد ظفر بالشـيطان وكل قواته ورئاسـاته على الصـليب، وجرّدهم من رئاستهم وفضـحهم علنًا. فصـارت علامة الصـليب تذكيرًا لهم بالفضـيحة، وإشارة إلى العذاب المُزمَع أن يُطرَحوا فيه".

وفي قصـة لساحر اصطحب معه شخصًا إلى مكان فيه الشيطان، ولما سـأل الأخير السـاحر: "مَنْ هذا؟" قال السـاحر: "هذا عبدك". وهنا التفت الشيطان إلى ذلك الانسـان وسـأله باهتمام: "أنت عبدي؟" فأجاب

https://coptic-treasures.com

الرجل بأن رشـم ذاته بعلامة الصـليب قائلًا: "بل أنا عبد الآب والابن والروح القدس". وهنا سقطت المصـابيح وانقلبت الكراسـي وغاص المكان في ظلام واضطراب.

وفي قصـة أخرى عن الشـيطان وكان مجتمعًا في القفر مع اعوانه، وقد أخبروه بأن هناك شـخصًـا نائمًا في المنطقة، ولما أمرهم بإحضـاره يستطيعوا رغم محاولاتهم المتكررة، ولما تعجب منهم رئيسهم اعترفوا بأنهم لم يستطيعوا الاقتراب منه بسـبب أنه رشـم علامة الصـليب حوله من كل ناحية قبل أن ينام، فلما رأى ذلك الشخص الذي روى القصة وكان وثنيًا، تعمّد ثم ترهّب.

ونقرأ في سـير الاباء كيف أنهم عندما يضـطرون إلى النوم في البرية كانوا يرسـمون دائرة بالعصـا حولهم ثم يرشـمون علامة الصـليب على محيطها، فلا يقترب عندئذ منهم اي شيطان ولا وحش ولا زواحف.

ويقول العلامة ترتليانوس (١٥٥-٢٢٥) إن المسـيحين اعتادوا على رشم علامة الصليب قبل كل عمل للدلالة على أن هذا العمل هو لوجه الله ولمجد اسمه: "في جميع أعمالنا نحن المسيحيّين، حين ندخل ونخرج، حين نلبس الثياب، أو نجلس إلى المائدة، أو نستلقي على السرير... نرسم إشارة الصـليب على جباهنا". ويتابع قوله مؤكّدًا بأن هذه العادة "لم تأمر بها الكتب المقدسة، لكن التقليد يعلّمها، والعادة تثبّتها، والإيمان يحفظها".

https://coptic-treasures.com

ويرى القديس يوحنا فم الذهب أنه كما كانت علامة الصليب على أبواب العبرانيين فلم يؤذهم شيء، هكذا علامة الصليب. ويقول: "اصنع هذه العلامة عندما تأكل وعندما تشرب وعندما تجلس، عند نومك وعند نهوضك، عندما تتكلّم وعندما تتنزه، وبوجيز العبارة ارسم إشارة الصليب عند كل عمل، لأن المسيح الذي صُلب هنا على هذه الارض هو في السماوات. فإنه لو كان صُلِبَ وقُبِر واستمر في القبر لكنا نخجل منه، ولكن الواقع أن الذي صُلِبَ على الجلجلة قد صعد إلى السماوات."

وقد أحب المسيحيون الصليب أيما حب، وكلما سخر اليهود واليونانيون منه كلما أحبوه وعانقوه بشدة، ورفعوه فوق منارات وقباب كنائسهم، وأمسكوا به في أيديهم، وجعلوه وحدة أساسية في عمارتهم وزخارفهم. وفي القداس الإلهي يرشم الكاهن الصليب على أواني المذبح وعلى ملابس الخدمة وعلى الخبز والخمر مرات عديدة، ولكن ما أن يتم التحول حتى يكف الكاهن عن رشم الصليب عليهما إذ صارا جسد ودم الرب الأقدسين.

ولعلنا نتذكر هنا كيف أن الشهيد مار جرجس رشم علامة الصليب بيده على كأس السم فلم يؤذه، فلما قيدوا يديه خلفه ليمنعوه من ذلك رشمه بالإيماء بوجهه فنجا أيضًا. والقديس مرقس الشهيد الذي سُفِكت دماؤه في بوش قال لهم بالعربية: "حلّوني لأرشم علامة سيدي"، فلمَّا حلُّوه رَشَمَ

https://coptic-treasures.com

الصليب بأظافره على جبهته، وسال دمه، فقال: "الآن فقط يرضى عني سيدي لأني كنت أشتهي الحريق، بل الصلب حتى تكون أوجاعي أكثر"، وتقدَّم بقوة العلامة نحو النار فرفعته قربانًا للمخلِّص.

ونرشمه بهدوء على أوراق الأسئلة، وكذلك نرشمه بالزيت على المرضى. ويرشم به الكاهن الشعب عندما يباركهم أثناء القداس أو عند انصرافهم. ونرشمه عند كل مرة يُذكَر فيها الثالوث، والمجد، والسجود، والانحناء، وكلما مررنا أمام كنيسة أو أب كاهن وغيرها.

ويقول القديس مار أفرام السرياني "إن الصليب هو الخشبة التي صنعها النجار لنعبر بها من النار إلى الحياة الأبدية"، ثم يردف قائلًا: "دع علامة الصليب الحي تدمغ كل أفعالك. لا تخرج من باب منزلك دون أن ترسم نفسك بالصليب. لا تنسَ علامة الصليب قبل الأكل أو الشرب، أو عندما تذهب إلى المنام، أو عند تواجدك في البيت، أو لدى ذهابك في رحلة. فليست هناك من عادة تُفضَّل عليها أو تُقارَن بها. وليكن الصليب إذًا مثل حائط يحميك، يحوِّط كافة أفعالك. وعلّمها لأطفالك ليتعلموا هذه العادة بجد".

يقول القديس بولس البوشي: "لا ترشم ذاتك بعجلة وتسرُّع، بل ليكن قلبك مع الكلمات والحركة. تذكَّر الآب الذي أحبَّك، وبذل وحيده عنك، والروح الذي قدسك. اخشع بروحك نحو السيد؛ لأنه – برشم الصليب –

https://coptic-treasures.com

تتذكَّر معموديتك التي هي أول الخلاص والموت عن العالم والحياة للبر. فعندما ترشم ذاتك تذكَّر أنَّ الذين اعتمدوا للمسيح قد لبسوا المسيح. ليسوا بعد تحت أهواء الخطية وسلطان الجسد؛ لأن الذين هم للمسيح يسوع قد صلبوا الأهواء مع الجسد".

ونردّد في أسبوع الآلام وعيدي الصليب والجنازات: "يا من صُلِب على الصليب، اِسحقْ الشيطان تحت أقدامنا".

https://coptic-treasures.com

مَرْيَم المجدَليّة

(متى٢٧: ٥٦، ٦١؛ ٢٨: ١؛ مرقس١٥: ٤٠، ٤٧؛ ١٦: ١–١٩؛ لوقا٨؛ ٢٤: ١٠؛ يوحنا١٩: ٢٥؛ ٢٠: ١–١٨)

مريم المجدلية هي أكثر شخصية نسائية تكلم عنها البشيرون في الأناجيل بعد السيدة العذراء، وقد عُرِفت بالمجدلية تمييزًا لها عن المريمات الباقيات، فهي من قرية مجدل (ومعناها برج) التي تقع على شاطئ بحر الجليل، وأُشتُهِرت القرية بصناعات مختلفة مثل الصوف، وبناء السفن، وصيد السمك وتمليحه، والزراعة، كما عُرِف عن البلدة أن سكانها كانوا متحرّرين على نحو ما.

كانت مريم على ما يبدو من عائلة كبيرة شهيرة، حيث ذكرها القديس لوقا قبل الأخريات «وبَعضُ النِّساءِ كُنَّ قد شُفينَ مِنْ أرواحٍ شِرّيرَةٍ وأمراضٍ: مَريَمُ الّتي تُدعَى المَجدَليَّةَ الّتي خرجَ مِنها سبعَةُ شَياطينَ، ٣ويوَنّا امرأةُ خوزي وكيلِ هيرودُسَ، وسوسنَّةُ، وأُخَرُ كثيراتٌ كُنَّ يَخدِمنَهُ مِنْ أموالِهِنَّ» (لوقا٨: ٢–٣).

ورغم أن السيد المسيح صنع الكثير من المعجزات، إلّا أن القليل من الذين شفوا هم الذين تبعوه على نحو المريمات. ولقد وجّه الرب ذات مرة عتابًا بقوله: «أليس العشَرَةُ قد طَهَروا؟ فأين التِّسعَةُ؟» (لوقا١٧: ١٧). هذا

https://coptic-treasures.com

وقد ســـمحت ظروف مريم المجدلية العائلية لها، بأن تترك بيتها ومدينتها لتتبع المســـيح حيث لم تكن متزوجة. وقد حاول البعض تفســـير إخراج الشياطين السبعة منها بأنه شفاءها من الخطية، حيث كانت خاطئة رديئة السيرة، ولكن لا يوجد سند حقيقي لذلك.

وبحسب المصادر المتاحة فقد كانت مريم شابة تتمتع بجمال شديد، سيدة مجتمع، غنية جدًا، قوية الشخصية، لبقة تُحسن الحديث، حيث يظهر ذلك من الأخبار المُتناقَلة عنها حين ذهبت إلى روما وتقابلت مع طيباريوس قيصـــر وعرضت عليه هناك قضية المسيح والمسيحيين، وتأثر طيباريوس وأمر بعدم التعرض للمسيحيين. كما ظهرت قوة شخصيتها في تواجدها في دار الولاية حيث تسنّى لها مشاهدة المحاكمات، وسمعت الرؤساء الدينيين يطالبون بيلاطس بقتله، وذهابها كذلك والظلام باقٍ إلى القبر في جرأة تعوز الكثير من الرجال، ووجودها قبل ذلك بجوار الصليب في حين هرب الكثير من الأخصاء.

إنفاقها على المسيح من أموالها:

قامت مريم مع نساء أخريات بالإنفاق على السيد المسيح وتعضيد الصندوق الذي كان يهوذا يسرق ما فيه، وقد حذا حذو هذه المرأة الفاضلة الكثير من القديسات اللائي فتحن بيوتهن للمبشرين مثل ليديا وبريسكلا وزوجها أكيلا، وبيت فليمون وأنيســـيفورس. وفي التاريخ اللاحق نقرأ عن القديسات اللائي عضدن أوريجانوس وجيروم، وقديسات بنين أديرة وكنائس مثل القديسة ميلانية والقديسة باولا والملكة هيلانة وغيرهن كثيرات.

https://coptic-treasures.com

ربما لم يكن هؤلاء المريمات يستطعن القيام بعمل تبشيري، ولكن قلوبهن وهي ممتلئة بالمحبة، لم يجدن وسيلة سوى تسخير مالهن لخدمة الرب ورسله، مَثَّلهن الآن مَثَل الذين ينفقون على الكنائس وعلى الخدمة دون أن يعرفهم أحد، فبينما قال أحدهم: «ليس لي فِضَّةٌ ولا ذَهَبٌ، ولكن الّذي لي فإيّاهُ أُعطيكَ» (أعمال٣:٦)، ومن ثَمّ صلى للمُقعَد فشفاه، والآخر يقول: "ليس لي مواهب شفاء أو تعليم، ولكن أعطيك من مالي ما يعينك في خدمتك".

هذا وتنتمي المجدلية إلى مجموعة النساء اللائي تبعن السيد من الجليل وبقيتهن في أورشليم لخدمته «وكانتْ هناكَ نِساءٌ كثيراتٌ يَنظُرنَ مِنْ بَعيدٍ، وهُنَّ كُنَّ قد تبِعنَ يَسوعَ مِنَ الجَليلِ يَخدِمنَهُ، وبَينَهُنَّ مَريَمُ المَجدَليَّةُ، ومَريَمُ أُمُّ يعقوبَ ويوسي، وأُمُّ ابنَيْ زَبدي» (متى٢٧:٥٥؛ ٢٨:١؛ مرقس١٥:٤٠).

هكذا كان مع السيد المسيح تلاميذه الاثنا عشر، وكان من خلفهم كثيرون يتبعون يسوع للنهل من تعليمه، وهم بخلاف الجموع الكثيرة المذكورة في البشائر، حيث يمكن تمييزهم من واقعة تعثُّر البعض في مسألة الجسد والدم «مِنْ هذا الوقتِ رَجَعَ كثيرونَ مِنْ تلاميذِهِ إلَى الوَراءِ، ولَمْ يَعودوا يَمشونَ معهُ» (يوحنا٦:٦٦). ومثل هؤلاء كانت هناك كتيبة ضخمة من النساء اللائي يقمن بخدمات مساعدة، وبهذا يكون السيد المسيح أيضًا

https://coptic-treasures.com

قد أسس نظام الخادمات والمُكرّسات على نحو ما، وهو الأمر الذي ظهر لاحقًا في العصر الرسولي وفي الكنائس الأولى.

مريم عند الصليب:

كان الحب الشديد الذي للرب يسوع في قلب مريم قد تخطّى حواجز الخوف سواء من البشر أو الاشباح، فبينما هرب التلاميذ ولم يبقَ سوى يوحنا ومريم العذراء، كانت المجدلية في مقدمة الذين يتابعون الصلب والدفن «وكانتْ أيضًا نِساءٌ يَنظُرنَ مِنْ بَعيدٍ، بَينَهُنَّ مَريَمُ المَجدَليَّةُ، ومَريَمُ أُمُّ يعقوبَ الصَّغيرِ ويوسي، وسالومَةُ» (مرقس١٥: ٤٠).

وكانت في الغالب أيضًا من بين النسوة اللائي تبعن يسوع وهو حامل الصليب يبكين وينحن ويلطمن وجوههن، وفي قول السيد لهن "يا بنات اورشليم" يقصد أيضًا الأمة اليهودية كلها (بما فيها الجليل التي منها المجدلية وأخريات)، فقد انضممن إلى النساء اللائي من أورشليم أساسًا.

إن دموع المجدلية في رحلة الصلب، وأمام الصليب، وعند القبر وهي تبكي وعيناها حمراوان، قد ألهمت الكثير من الفنانين، ومن هنا أُشتُقَّت الكلمة الإنجليزية (maudlin) وتعني الجياش بالعاطفة إلى حد الإسراف في البكاء، كما توجد اثنتان من الكليات باسم المجدلية في أكسفورد وكامبردج، حيث تنطق أيضًا (مودلين).

https://coptic-treasures.com

أمّا بخصـــوص الحنوط والتحنيط، فيبدو أن عملية التحنيط لم تكن قد تمت بإتقان كالعادة بسبب ضيق الوقت، وقد اعتبر السيد المسيح أن سكب الطيب في بيت ســمعان كان اســتباقًا لدفنه وتكفينه (فَعَلتْ هذا لتكفيني)، كذلك ذهاب المريمات فجر الأحد للقيام بهذا الواجب يؤكد أن جســد الرب لم يُكفَّن كما يجب.

فهل كان الذهاب للقبر لأيام متتالية وإلقاء بعض الحنوط والأطياب على أبواب القبور عادة؟

اشــترت مريم الأطياب باعتبارها أغناهن مالًا وأغناهن حبًا للســيد بعد مريم أمه: «وبَعدَما مَضَــى السَّبتُ، اشـتَرَتْ مَريَمُ المَجدَليَّةُ ومَريَمُ أُمُّ يعقوبَ وسالومَةُ، حَنوطًا ليأتينَ ويَدهُنَّهُ. وباكِرًا جِدًّا في أوَّلِ الأُسبوعِ أتَينَ إلَى القَبرِ إذ طَلَعَتِ الشَّمسُ» (مرقس١٦: ١، ٢).

عند القبر:

لم يكن باب أورشــليم يفتح قبل صــياح الديك، ولذلك خرجت المجدلية من بيتها والظلام باقٍ، وربما انتظرت حتى فُتِح باب المدينة والذي لم يكن يُفتَح قبل انبثاق النور. وعندما يحدّد الكتاب أن زيارتها إلى القبر كانت عند الفجر، فهذا من جهة وصــولها، ولكن كيف لامراة أن تخرج في هذا الوقت متجهة إلى القبر، ظلام، وأشــباح، وحراس أبواب المدينة، وحراس القبر (ولا شــك انها رأتهم وكم هم مرعبين عندما كانت تنظر القبر)، وغالبًا ما كانت بعض النســوة الأخريات على موعد معها للذهاب معًا، ولكن واضــح أنها

https://coptic-treasures.com

سبقت ثم لحقت بها الأخريات بعد ذلك، والدليل أنهن كن جماعة هو قول المجدلية للقديسين بطرس ويوحنا: "أخذوا السيد **ولسنا نعلم** أين وضعوه": «فَرَكَضَتْ وجاءَتْ إِلَى سِمعانَ بُطرُسَ وإِلَى التِّلميذِ الآخَرِ الَّذي كانَ يَسوعُ يُحِبُّهُ، وقالَتْ لهُما: أَخَذوا السَّيِّدَ مِنَ القَبرِ، ولَسنا نَعلَمُ أين وضَعوهُ!» (يوحنا٢٠:٢). أمّا القديس متى فيقول: «وبَعدَ السَّبتِ، عِندَ فجرِ أوَّلِ الأُسبوعِ، جاءَتْ مَريَمُ المَجدَليَّةُ ومَريَمُ الأُخرَى لتَنظُرا القَبرَ» (متى٢٨:١). كما كانت تعول الهم من جهة من يدحرج الحجر لهن عن باب القبر (كان ثقيلًا خوفًا من عبث الحيوانات والوحوش بالأجساد المسجّاة بالداخل)، ولكنها وجدته مُدحرَجًا والقبر خاليًا! وربما ظنت أن البستاني – بالاتفاق مع الرامي ونيقوديموس – قد نقله، ولكن كيف ذلك؟ وأين الحراس؟ هل سُرِق.. هل قام..؟! لقد كانت في حيرة ودهشة..

وعندما تحدث معها الملاكان لاحظت رجفة عليهما فالتفتت إلى الخلف، ورأته ولكنها لم تعرفه. وعرّفها بنفسه، وحاولت الإمساك به بسبب فرحتها وحبها، ولكنه عاتبها ثم طمأنها، ثم كلّفها بأن تكرز بقيامته، ومن ثَمّ أصبحت أول كارزة بالقيامة، وذلك في الحقيقة كان مكافأة لها «فجاءَتْ مَريَمُ المَجدَليَّةُ وأخبَرَتِ التلاميذَ أنَّها رأتِ الرَّبَّ، وأنَّهُ قالَ لها هذا» (يوحنا٢٠:١٨). ويسميها التقليد لا سيما هيبوليتس "**رسولة الرسل**" لأنها بشرتهم بالقيامة.

https://coptic-treasures.com

المجدلية في التاريخ اللاحق:

ذُكِرت المجدلية أربعة عشرة مرة في الأناجيل، مع نسوة أخريات ولكن في مقدمتهن، وفي المرات الخمس التي ذُكِرت وحدها ارتبطت بموت الرب وقيامته. ولاشك أنها كانت موجودة مع الرسل في العلية عند حلول الروح القدس على التلاميذ مع ١٢٠ نفسًا (أع١:١٤).

في سنة ١٣٢٤م أقامت الكنيسة الكاثوليكية بيتًا أطلقت عليه "بيت المجدلية" بهدف إنقاذ النساء والفتيات الساقطات (مما أوحى لكثيرين بأن المجدلية كانت فاسدة الأخلاق اولًا)، وهناك لوحة رائعة للفنان روبنز Peter Paul Rubens اسمها "نزول الصليب" فيها مريم المجدلية وزوجة كليوباس يقدمان المساعدة ليوسف ونيقوديموس عند دفن جسد يسوع المسيح.

وجاء في التقليد أنها ذهبت مع القديسة مريم العذراء إلي افسس وهناك تنيحت لاحقًا، وقد نُقِلت رفاتها فيما بعد إلى القسطنطينية سنة٨٨٦م. ويؤكد المؤرخ الروماني جريجوري أسقف تورز (في القرن السادس) هذا التقليد الكنسي الخاص بانتقالها إلى أفسس ونياحتها هناك.

وكتاب أبوكريفي عن مريم المجدلية يصوّرها الأكثر حبًا لله المخلص، وأنها تعرف الأسرار أكثر من بقية اللاتي تبعنه من النساء.

كنيسة المجدلية:

https://coptic-treasures.com

بناها القيصـــر ألكســـندر الثالث ســـنة ١٨٨٥م (ألكســـندر رومانوف الثالث١٨٤٥– ١٨٩٤م، قيصـر وإمبراطور روسـيا السـابع عشـر)، عُرِف باسم "صـانع السـلام"، وقد شيد الكنيسـة المذكورة تخليدًا لذكرى والدته، وذلك على الطراز المســـكوفي، وكان يزور القدس من الروس حوالي ٢٠٠ ألف حاج. وكانت تحيط بالكنيسـة الأشـجار، ولها قباب مذهبة تطل على القدس القديمة، وقد تم تدشـينها سـنة ١٨٨٨م بحضـور سـيرجي ألكسـندروفيتش شـــقيق القيصـــر، وهناك يحتفلون بالمجدلية في ٢٢ يوليو من كل عام. ثم أُعيد تدشينها من جديد في ٢٠٠٨/٨/٢٦ من قبل أساقفة الموارنة بلبنان.

بركة صلاة القديسة مريم المجدلية فلتكن معنا آمين.

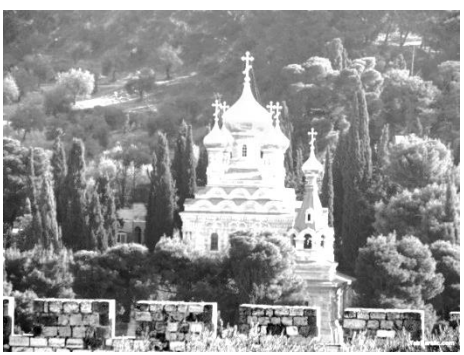

كنيسة القديسة مريم المجدلية بالقدس

https://coptic-treasures.com

لماذا رفض اليهود السيد المسيح

«وقالَ لهُمْ: هذا هو الكلامُ الّذي كلَّمتُكُمْ بهِ وأنا بَعدُ معكُمْ: أنَّهُ لا بُدَّ أنْ يتِمَّ جميعُ ما هو مَكتوبٌ عَنّي في ناموسِ موسَى والأنبياءِ والمَزاميرِ» (لوقا٢٤:٤٤).

كان من المتوقع أن يكون اليهود هم أكثر الناس معرفة بالمسيح، فقد اختارهم الله له شعبًا مقدسًا منذ عهده مع ابراهيم، وكما قال عنهم القديس بولس: «أقولُ الصِّدقَ في المَسيحِ، لا أكذِبُ، وضَميري شاهِدٌ لي بالرّوحِ القُدُسِ: إنَّ لي حُزنًا عظيمًا ووجَعًا في قَلبي لا يَنقَطِعُ. فإنّي كُنتُ أوَدُّ لو أكونُ أنا نَفسي مَحرومًا مِنَ المَسيحِ لأجلِ إخوَتي أنسِبائي حَسَبَ الجَسَدِ، الّذينَ هُم إسرائيليّونَ، ولهُمُ التَّبَنّي والمَجدُ والعُهودُ والإشتِراعُ والعِبادَةُ والمَواعيدُ، ولهُمُ الآباءُ، ومِنهُمُ المَسيحُ حَسَبَ الجَسَدِ، الكائنُ علَى الكُلِّ إلهًا مُبارَكًا إلَى الأبدِ. آمينَ.» (رومية٩:١-٥).

لقد عرفوا أن هناك مخلصًا سيأتي، وذلك منذ وُعِد الإنسان الأول: «هو يَسحَقُ رأسَكِ، وأنتِ تسحَقينَ عَقِبَهُ» (تكوين٣:١٥)، وأن في نسل إبراهيم تتبارك جميع الأمم «وأمّا المَواعيدُ فقيلَتْ في إبراهيمَ وفي نَسلِهِ. لا يقولُ: «وفي الأنسالِ» كأنَّهُ عن كثيرينَ، بل كأنَّهُ عن واحِدٍ: «وفي نَسلِكَ» الّذي هو المَسيحُ» (غلاطية٣:١٦)، وأنه سيولد من عذراء «هوذا العَذراءُ تحبَلُ وتَلِدُ ابنًا، ويَدعونَ اسمَهُ عِمّانوئيلَ؛ الّذي تفسيرُهُ: اللهُ معنا» (مت١:

https://coptic-treasures.com

٢٣)، وسيكون مولده في بيت لحم: «وأنتِ يا بَيتَ لَحمٍ، أرضَ يَهوذا، لَستِ الصُّغرَى بَينَ رؤَساءِ يَهوذا، لأنْ مِنكِ يَخرُجُ مُدَبِّرٌ يَرعَى شَعبي إسرائيلَ» (متى٢:٦)، وسيدخل دخوله الانتصاري راكبًا على أتان وجحش: «قولوا لابنَةِ صِهيَوْنَ: هوذا مَلِكُكِ يأتيكِ وديعًا، راكِبًا علَى أتانٍ وجَحشٍ ابنِ أتانٍ» (متى٢١:٥)، بل أن كل من المزمور الثاني والعشرين والأصحاح الثالث والخمسين من سفر إشعياء يتحدثان بوضوح عن آلام الرب وموته وقيامته، كما أن رؤساء اليهود أكّدوا لهيرودس مسألة ولادة الملك المسيح وشرحوا له النبوات المتعلقة بذلك، ولكن كما قال إشعياء النبي: «الثَّوْرُ يَعرِفُ قانيَهُ والحِمارُ مِعلَفَ صاحِبِهِ، أمّا إسرائيلُ فلا يَعرِفُ. شَعبي لا يَفهَمُ» (إش١: ٣)، بل أن السامرية كانت تعلم ذلك: «قالَتْ لهُ المَرأةُ: "أنا أعلَمُ أنَّ مَسيّا، الّذي يُقالُ لهُ المَسيحُ، يأتي. فمتَى جاءَ ذاكَ يُخبِرُنا بكُلِّ شَيءٍ". قالَ لها يَسوعُ: "أنا الّذي أُكلِّمُكِ هو".» (يوحنا٤:٢٥،٢٦).

ولكن فكرتهم عن المسيا الآتي اختلطت مع الوقت بعوامل سياسية واقتصادية وعرقية، وهكذا أصبحت فكرة ساذجة مشوهة، ومن هنا لم يعلن المسيح عن مسيانيته باستمرار، مرة يرونه مسالمًا، ومرة ذو سلطان مبهر، كان يُعَلِم بسلطان وليس كالكتبة، مرة يصنع معجزة مبهرة، ومرة يأمر بالجزية لقيصر، مرة يقول: «لهذا قد وُلِدتُ أنا (أي لأكون ملكًا)» (يوحنا١٩:٣٧)، ومرة يقول: «مَملكَتي لَيسَتْ مِنْ هذا العالَمِ» (يوحنا١٩: ٣٦)، أو يقول: «يا إنسانُ، مَنْ أقامَني علَيكُما قاضيًا أو مُقَسِّمًا؟» (لوقا١٢: ١٤).

https://coptic-treasures.com

وهكذا كانوا غير واثقين فاختلط عليهم الأمر: «فاحتاطَ بهِ اليَهودُ وقالوا لهُ: «إلَى مَتَى تُعَلِّقُ أنفُسَنا؟ إنْ كُنتَ أنتَ المَسيحَ فقُلْ لنا جَهرًا». أجابَهُمْ يَسوعُ: «إنّي قُلتُ لكُمْ ولَستُمْ تؤمِنونَ».» (يوحنا١٠: ٢٤، ٢٥). «آخَرونَ قالوا: «هذا هو المَسيحُ!». وآخَرونَ قالوا: «ألَعَلَّ المَسيحَ مِنَ الجَليلِ يأتي؟ ألَمْ يَقُلِ الكِتابُ إنَّهُ مِنْ نَسلِ داوُدَ، ومِنْ بَيتِ لَحمٍ، القريةِ الّتي كانَ داوُدُ فيها، يأتي المَسيحُ؟». فحَدَثَ انشِقاقٌ في الجَمعِ لسَبَبِهِ» (يوحنا٧: ٤١-٤٣).

لقد ورد في العهد القديم ما يزيد عن ٧٠٠ نبوة عن المسيح، شملت صفاته وولادته وتعليمه ومعجزاته والقبض عليه ومحاكماته وصلبه وموته وقيامته وصعوده؛ ما بين نبوات مباشرة (نصّية) وأخرى ضمنية. ومن النصية: «راكِبٌ علَى حِمارٍ وعلَى جَحشٍ ابنِ أتانٍ» (زكريا٩:٩؛ متى٢١: ٥)، والصلب والقبر والقيامة وغيرها. ومن النبوات الرمزية: «راحيلُ تبكي علَى أولادِها...» (إرميا٣١: ١٥؛ متى٢: ١٨)، فراحيل لم تبكِ أولادها بل يعقوب، ولكن راحيل هنا تبكي على أطفال بيت لحم الذين قتلهم هيرودس، مثلما تبكي الكنيسة أولادها الغائبين أيضًا. بينما يرى البعض رمزيًا في النبوة، سبى المسيح (إسرائيل الجديد) في مصر (إشارة إلى الهروب إلى مصر).

العصر المسياني في فكر اليهود:

توقع اليهود من المسيا الآتي إصلاحات سياسية واجتماعية، وأن يحكم من أورشليم مدينة الملك العظيم (لا الجليل ولا غيرها)، ويجعل من الأرض فردوسًا، ويجعل المناخ حسنًا، والأرض خصبة، والطعام وفيرًا، ويسود في

https://coptic-treasures.com

ملكه (تكون له السيادة)، ويكون من سبط لاوي، كاهنًا، معلمًا، نبيًا، قائدًا ممسوحًا،وكانوا يصرخون: «لَيتَكَ تشُقُّ السماواتِ وتَنزِلُ! مِنْ حَضرَتِكَ تتَزَلزَلُ الجِبالُ» (إشعياء٦٤: ١)، وكانوا يردّدون ما ورد في المزمور: «يا جالِسًا علَى الكَروبيمِ أشرِقْ... أيقِظْ جَبَروتك، وهَلُمَّ لخَلاصِنا» (مز٨٠: ١، ٢). ولما أشبع الجموع من قليل سمك وخبز رأوا فيه واحدة من صفات المسيا الذي ينتظرونه، فهو يطعم شعبه ويدافع عنهم ويملّكهم الأراضي والغنائم، فلما أرادوا أن يختطفوه ويجعلوه ملكًا هرب منهم، وفي وقت لاحق صدمهم بالقول: «مَملكَتي لَيسَتْ مِنْ هذا العالَمِ»، كما صرّح بأن «للثَّعالِبِ أوجِرَةٌ ولِطُيورِ السماءِ أوكارٌ، وأمّا ابنُ الإنسانِ فليس لهُ أين يُسنِدُ رأسَهُ» (متى٨: ٢٠؛ لوقا٩: ٥٨).

ولكن لما رأى رؤساء اليهود والكتبة أن صفات المسيح الظاهرة لهم لا تفي بشروطهم انقلبوا عليه، فكيف يطالبهم بإعطاء الجزية لقيصر، وهو ملك وثني يستعمر أرضهم ويستبيح أموالهم وينجس مدينتهم؟ وبينما كان يسخر اليهود من الملك والوالي الوثني، سخر الرومان من فكرة وجود ملك يهودي أثناء حكم الرومان، ومن ثَمّ علقوا لافتة "ملك اليهود" فوق رأس المسيح المصلوب، ليقولوا إنه حتى من دُعِي ملكا لليهود من البعض صار هكذا مصيره. وقد اختلف الربيون اليهود حول تفسير النبوات المسيانية، وبعد أن كانت نبوة مثل: «قالَ الرَّبُّ لرَبّي: اجلِسْ عن يَميني حتَّى أضَعَ أعداءَكَ مَوْطِئًا لقَدَميكَ» (مزمور١١٠: ١) تُفسَّر أنها مخاطبة الآب للابن،

https://coptic-treasures.com

زعموا أنها مخاطبة الله لسيدي الملك داود، ومن ثَمّ فسّروا ما ورد في إشعياء ١٩ حول مجيء المسيح إلى مصر مع السيدة العذراء، وبناء مذبح للرب في وسطها، وإقامة العمود في تخومها الذي هو القديس مار مرقس، تفسيرًا وقتيًا محليًا، وكذلك ما ورد في المزمور: «رفضوني أنا الحبيب مثل ميت مرذول» فسروها وقتيًا وليس عن رفضهم للمسيح.

ولكن الخلاص الذي توقعه الكثيرون في العهد القديم ورقدوا على هذا الرجاء، للأسف احتقره اليهود: «الخَلاصَ الّذي فتَّشَ وبَحَثَ عنهُ أنبياءُ، الّذينَ تنَبّأوا عن النِّعمَةِ الّتي لأجلِكُمْ» (١بطرس١: ١٠)، رغم أن الله كان يتعامل مع الآباء والأنبياء قديمًا بأنواع وطرق شتى مثلما أشار القديس بولس في مدخل رسالته إلى العبرانيين، أي من من خلال رؤيا أو ظهور أو حلم أو رمز وإشارة، وهو ما أشار إليه الرب يسوع: «ولكن طوبَى لعُيونِكُمْ لأنَّها تُبصِرُ، ولآذانِكُمْ لأنَّها تسمَعُ. فإنّي الحَقَّ أقولُ لكُمْ: إنَّ أنبياءَ وأبرارًا كثيرينَ اشتَهَوْا أنْ يَرَوْا ما أنتُمْ ترَوْنَ ولَمْ يَرَوْا، وأنْ يَسمَعوا ما أنتُمْ تسمَعونَ ولَمْ يَسمَعوا» (متى١٣: ١٦، ١٧)، إلّا أنهم صاروا ينكرونه ويحاربونه ويسلمونه للقتل، بل أنهم في رفضهم له كانوا يحقّقون النبوات الخاصة بذلك، من جهة رفضه وقتله، هكذا قال القديس يوحنا الحبيب: «إلَى خاصَّتِهِ جاءَ، وخاصَّتُهُ لَمْ تقبَلهُ» (يوحنا١: ١١)، وحقّ فيهم القول «الثَّوْرُ يَعرِفُ قانيَهُ والحِمارُ مِعلَفَ صاحِبِهِ، أمّا إسرائيلُ فلا يَعرِفُ. شَعبي لا يَفهَمُ» (إشعياء١: ٣). وتعجب السيد من رفضهم وقال: «لأنَّ قَلبَ هذا الشَّعبِ قد غَلُظَ، وآذانَهُمْ قد ثَقُلَ سماعُها.

https://coptic-treasures.com

وغَمَّضوا عُيونَهُمْ، لئَلّا يُبصِروا بعُيونِهِمْ، ويَسمَعوا بآذانِهِمْ، ويَفهَموا بقُلوبِهِمْ، ويَرجِعوا فأشفيَهُمْ» (متى١٣: ١٥).

إن اليهود في عنادهم ورفضهم للمسيح – وهو الآتي من أجل خلاصهم – يذكروننا بشخص يهرب من المواجهة، أو يهرب من الحق، مثل الذي قال للقديس بولس: «أمّا الآنَ فاذهَبْ، ومَتَى حَصَلتُ علَى وقتٍ أستَدعيكَ» (أعمال٢٤:٢٥)، أو الشخص الذي يسخر قائلًا: دعنا من الوعظ، اتركني الآن، أو: أنا أعرف ذلك، وغيرها... فتنظر وتتأسّف لأنه بعيد عن خلاصه.

اليهود يتوبون الآن بالآلاف، ويرجعون إلى الله، وقد دُوِّنت سير العديد من الذين عادوا فقبلوه في عدة كتب، لاسيما كتاب "لصوص الله"، وكتاب "هل أريد؟ هل تريد؟ Would I? Would you?"، ومن ثَمّ يُدعَى اليهود الذين يؤمنون الآن بـ"اليهود المسيانيين"، أي الذين آمنوا أخيرًا بأن يسوع الناصري هو المسيا الذي كانوا ينتظرونه، هكذا قال البعض من أجداداهم للرب: «أنتَ هو الآتي أم نَنتَظِرُ آخَرَ؟» (متى١١: ٣؛ لوقا٧: ١٩، ٢٠)، وكانوا يدعون المسيح "يسوع الناصري" و"يسوع الذي من ناصرة الجليل"، ودُعِي بالتالي أتباعه بـ"الجليليين" و"الناصريين" و"أتباع الناصري: و"أتباع الطريق" و"شيعة الناصريين"، وغيرها. وبينما اكتشفت المرأة السامرية شخصيته ورسالته أنه هو المسيا، غاب ذلك عن كثير من اليهود الدارسين، بل الأكثر من ذلك الإيمان الذي كان لقائد المئة ولكرنيليوس والمرأة الكنعانية وغيرهم مما افتقر له الكثير من اليهود سواء في زمن المسيح أو في الاجيال التالية.

https://coptic-treasures.com

ماذا نتعلّم من هذه الأيّام

تُرى ماذا يمكننا أن نأخذ معنا من البسخة لبقية أيام السنة؟ إننا نسمي الصوم الكبير "خزين العام الروحي"، ونسميه "ربيع العام الروحي" لأن فيه تتفتّح الاشتياقات الروحية مثلما تتفتح الزهور في الربيع، وكما تنتشر في الجو رائحة زكية هكذا تمتلئ الكنائس والبيوت بعبق نسكي، وكما تمتلئ الحدائق بالناس تمتلئ الكنائس بالمصلين أكثر من أي وقت في العام. وأمّا الخزين الروحي فهو يقابل الخزين المنزلي والذي يُستخدم بقية العام. والكثير من الناس يقولون: ليت السنة كلها بهذا الطقس لما فيه من خشوع ودسم وراحة داخلية، وهذا هو الفرق بين الاحتفال بهذا الأسبوع في كنيستنا والكنائس الأخرى.

من هذا الخزين...

خبرة ضبط النفس من جهة الطعام والشراب:

الصوم علمنا أنه يمكن أن نحيا بالقليل كمًّا ونوعًا، وأننا لن نُضار من ذلك، وأن الأشخاص النباتيين هم أصحاء أيضًا، ولقد اختبرنا لمدة ٥٥ يومًا أن نحيا مثلهم، ومن هنا علينا أن نقرر ضبط النفس خلال العام من جهة الطعام والشراب. إن الكنيسة تقدم لنا نماذج لنحياها من سير القديسين، ونماذج من القراءات من الكتاب المقدس، ونماذج من الصلاة من خلال الأجبية، لعلنا نتعلم طريقة الصلاة واستمراريتها.

https://coptic-treasures.com

القراءة في الكتاب المقدس:

تَعلّمنا كذلك أن نقرأ كثيرًا في الإنجيل، حيث قرأنا كميات كبيرة منه خلال البسخة، وقديمًا كان يُقرَأ الكتاب المقدس كله، ومن الآن يجب أن نقرأ كثيرًا وليس مجرد أصحاح في اليوم. في قراءات ليلة ويوم الجمغة الكبيرة نقرأ أربعة مقاطع من الإنجيل في الساعة الواحدة، ويُقرأ بالقبطية والعربية، والمقدمة مُلحَّنة وهو نفسه مُلحَّن.

الصلاة النشيطة:

وقفنا في نشاط لساعات طويلة على مدار أسبوع كامل، وبخشوع وفرح، ومن ثَمّ فلن نستثقل القداس فيما بعد، ولا وقفتنا للأجبية أو الصلاة الارتجالية، لقد كان الإنجيل والنبوات والطروحات تُقال كلها باللحن أثناء البسخة، ولكننا بعد ذلك سيكون القداس مجرد ساعتين، وعلينا أن نحضره كله.

الخشوع في الصلاة:

أكثر الصلوات خشوعًا هي صلوات وتسابيح أسبوع الآلام، حتى الأطفال – والذين يحضرون بأعداد كبيرة هذه الأيام – يسلكون بوقار أكثر من أي مناسبة في السنة، مزيج من الشعور بالرهبة والامتنان والراحة والإقبال على المسيح، وحميمية غير عادية، فهو أبونا ومخلصنا وإلهنا وقريبنا وواحد من أهلنا، المُصاب مصابنا والجرح جرحنا والقضية تخصّنا، نحن متألمين نقف أمام المشهد في هيبة وخوف.

https://coptic-treasures.com

التواجد الكثير في الكنيسة:

أسبوع الآلام هو أكثر مناسبة في العام الليتورجي نقضي فيها وقتًا طويلًا في الكنيسة، وفي الزمن السابق كان المسيحيون يقضون الأسبوع كله من الأحد إلى الأحد، يستريحون قليلًا في الليل ليعاودوا الوجود في الكنيسة باكرًا جدًا، والبعض كان لا يغادر الكنيسة. ولكم أن تتخيلوا أن كل شيء كان يُقرَأ مُلحَّنًا، إضافة إلى ألحان تتكرّر في كل ساعة، وكذلك ألحان مرتبطة بأحداث، وأخرى لم تعد تُقال الآن. كل ذلك كان يجعل الوجود في الكنيسة متصلًا، وحتى في سبت الفرح لم يكن من المقبول أن نترك المسيح في القبر لننام أو ننشغل بأمور أخرى، بل نسهر حوله في قبره طوال الليل ونقرأ سفر المزامير كله لأن أغلبه نبوات عنه. وبعد هذه الخبرة لن نستثقل التواجد في الكنيسة لبضع ساعات في الأسبوع لحضور القداس والتسبحة والعشية والاجتماع.

عرفنا بالتفصيل ما صنعه المسيح لأجلنا:

في هذا الاسبوع وقفنا على تفاصيل التآمر على المسيح والقبض عليه ومحاكمته وصلبه ودفنه وقيامته، بتفاصيل غنّيناها وسمعناها وقرأناها، وعَلِمنا كم تألم المسيح لأجلنا وهو البار، وكيف قابل كل ما أتى عليه بحب ووداعة، واكتشفنا جليًا الثمن الذي دُفِع فينا لنخلص، وكم نحن محبوبون لدى الله محب البشر بالفعل. ومن هنا فإننا سنكون حريصين كل الحرص

https://coptic-treasures.com

ألّا نحزنه ونصـلبه من جديد بخطايانا، وسـيعيننا ذلك في الحذر من الوقوع في الخطية، ثم التشـــجُّع للتوبة عنها، لأن الرب قد ترك لنا رصـــيدًا لا ينضب من الغفران من خلال دم صليبه.

سـنأخذ معنا من هذا الأسـبوع كيف نسـامح، وكيف نسـلك بنُبل، وكيف نبذل عن الآخرين بفرح، وسنظل طول العام نشكر الله الذي أنعم علينا بالخلاص...

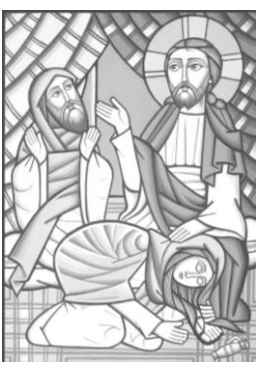

https://coptic-treasures.com

القيامة والإفخارستيا

طُرِد الإنسان الأول من الفردوس بعد الأكل من شجرة معرفة الخير والشر: «وأوصَى الرَّبُّ الإلهُ آدَمَ قائلًا: مِنْ جميعِ شَجَرِ الجَنَّةِ تأكُلُ أكلًا، وأمّا شَجَرَةُ مَعرِفَةِ الخَيرِ والشَّرِّ فلا تأكُلْ مِنها، لأنَّكَ يومَ تأكُلُ مِنها موتًا تموتُ» (تكوين٢: ١٦، ١٧). ولئلّا يأكل من شجرة الحياه فيحيا بذلك في خطيته إلى الأبد، كان لزامًا عليه أن يخرج إلى الخارج ليتطهّر أولًا من سم الخطية قبل أن يُسمَح له بالأكل من شجرة الحياة. «وقالَ الرَّبُّ الإلهُ: «هوذا الإنسانُ قد صارَ كواحِدٍ مِنّا عارِفًا الخَيرَ والشَّرَّ. والآنَ لَعَلَّهُ يَمُدُّ يَدَهُ ويأخُذُ مِنْ شَجَرَةِ الحياةِ أيضًا ويأكُلُ ويَحيا إلَى الأبدِ». فأخرَجَهُ الرَّبُّ الإلهُ مِنْ جَنَّةِ عَدنٍ ليَعمَلَ الأرضَ الّتي أُخِذَ مِنها. فطَرَدَ الإنسانَ، وأقامَ شَرقيَّ جَنَّةِ عَدنٍ الكَروبيمَ، ولهيبَ سيفٍ مُتَقَلِّبٍ لحِراسَةِ طريقِ شَجَرَةِ الحياةِ» (تك٣: ٢٢-٢٤).

ومن ثَمّ فكل من يدخل طالبًا أن يتناول من طعام الحياة وهو ما يزال فيه سم الخطية، فإنه يُخرَج بلطف إلى الخارج حتى يقدم توبة ويتخلص من خطيته، ومن ثَمّ يتسنّى له التناول. ونلاحظ ذلك حين يهمس الأب الكاهن

https://coptic-treasures.com

في أذن أحدهم معتذرا له بلطف بأن ينتظره في صحن الكنيسة لقبول توبته واعترافه، قبل أن يسمح له من جديد بالتقدم للأسرار المقدسة.

لذلك سُمّي التناول "شجرة الحياة التي لا يموت آكلوها" pi`]]hn `nte pwn, va ;metaqmou`. وقد أطلق القديس إغناطيوس الأنطاكي على الإفخارستيا "دواء الخلود". وفي لحن "بي أويك" (خبز الحياة) الذي نقوله أثناء توزيع الأسرار المقدسة، نقول: "خبز الحياة الذي نزل لنا من السماء... وأنتِ أيضًا يا مريم حملتِ في بطنكِ المَنَّ العقلي الذي أتي لنا من الآب، ولدتِه بغير دنس، وأعطانا جسده ودمه الكريم، فحيينا إلى الأبد".

والعلّامة إيرينيئوس يقول عن الذين لا يؤمنون بالقيامة، إن عليهم أن يتوقفوا عن ممارسة الإفخارستيا أو أن يؤمنوا بالقيامة، ويقول إن عقيدتنا نحن في قيامة الأموات تؤكد الإفخارستيا، والإفخارستيا تؤكد صحة عقيدتنا بأننا نقدم لله مما له.

وفي القداس الإلهي نصلي: "لأنه في كل مرة تأكلون من هذا الخبز وتشربون من هذه الكأس، تبشّرون بموتي وتعترفون بقيامتي وتذكرونني إلى أن أجيء"، وهكذا يؤكد القديس بولس الرسول:«فإِنَّكُمْ كُلَّما أكلتُمْ هذا الخُبزَ وشَرِبتُمْ هذِهِ الكأسَ، تُخبِرونَ بموتِ الرَّبِّ إِلَى أَنْ يَجيءَ» (١كو١١:٢٦)، ومن ثَمّ ارتبط التناول بالقيامة، فإن التناول يهب حياة أبدية أو هو عربون الحياة الأبدية، خبز الحياة. ولأن القيامة من الأموات هي العمود الفقري

https://coptic-treasures.com

للكرازة والمسـيحية، فإن التناول هو علامة وطعام تلك الحياة. لذلك جعلت الكنيسة التناول موضوع قراءاتها في الأسبوع الثاني من الخمسين المقدسة.

وعندما تحدث السيد المسيح عن الإفخارستيا استخدم تعبير «أُقيمُهُ في اليومِ الأخيرِ» ثلاث مرات: «لأنَّ هذِهِ هي مَشيئَةُ الّذي أرسَلَني: أنَّ كُلَّ مَنْ يَرَى الِابنَ ويؤمِنُ بِهِ تكونُ لهُ حياةٌ أبديَّةٌ، وأنا أُقيمُهُ في اليومِ الأخيرِ... لا يَقدِرُ أحَدٌ أنْ يُقبِلَ إلَيَّ إنْ لَمْ يَجتَذِبهُ الآبُ الّذي أرسَلَني، وأنا أُقيمُهُ في اليومِ الأخيرِ... مَنْ يأكُلُ جَسَدي ويَشرَبُ دَمي فلهُ حياةٌ أبديَّةٌ، وأنا أُقيمُهُ في اليومِ الأخيرِ» (يوحنا٦: ٤٠، ٤٤، ٥٤).

كما ارتبط هذا السـر بالقيامة، عندما ظهر الرب القائم من الأموات لتلميذي عمواس، وكان التلميذان متحيريْن بسببه، وعرفاه عند كسر الخبز «فانفَتَحَتْ أعيُنُهُما وعَرَفاهُ» (لوقا٢٤: ٣١)، وبذلك أصبحت الافخارستيا هي انفتاح عين المسيحي على الحياة الأبدية.

وثَمّة ملاحظة هامة في الصلوات السرية في القداس الإلهي وقبل التناول مباشرة، حيث يطلب الكاهن من الله أن يكتب أسماءنا في سفر الحياة، فيما يشبه قوائم المقبولين! وملاحظة أخرى تؤكد ارتباط الأمرين معًا في الوعي القبطي، إذ نرتل بعض الترانيم الشهيرة مثل "قام حقًا قام" و"يا بيعة مطهرة" أثناء توزيع الأسرار المقدسة، لارتباط الإفخارستيا بالقيامة (مع أنه من الأنسب ألّا تُقال ترانيم وقت التوزيع).

https://coptic-treasures.com

والإنســـان مائت بطبيعته، والله حيٌّ بطبيعته، وعندما اتحد لاهوت المسـيح بالناسـوت وهو طبيعتنا البشـرية، أعطى إمكانية لعدم الموت، اتحد اللـه بطبيعتنـا لكي لا نموت، لأن اللـه وحـده هو الـذي لـه عـدم الموت (١تيموثاوس٦:١٦)، ومن خلال هذا الواحد (المســـيح) نحيا إلى الأبد باشتراكنا في جسده ودمه الأقدسين. التناول يوحّدنا بالمسيح (يثبت فيَّ وأنا فيه)، والمسـيح القائم نقوم معه إذا اتحدنا بجسـده ودمه، والمسـيح هو الحياة «فقالَ لهُمْ يَسـوعُ: الحَقَّ الحَقَّ أقولُ لكُمْ: إنْ لَمْ تأكُلوا جَسَـدَ ابنِ الإنسـانِ وتَشـرَبوا دَمَهُ، فليس لكُمْ حياةٌ فيكُم» (يوحنا٦:٥٣)، بل كان مجمل حديث السيد المسيح بعد معجزة إشباع الجموع هو التناول والحياة الأبدية، كما أنه هو القيامة والحياة (يوحنا ١١).

وهكذا بالتناول نأخذ عربون الأبدية وسـر القيامة، ونصـلي في القداس الإلهي: "يُعطى عنا خلاصًـــا وغفرانًا للخطايا وحياة أبدية لمن يتناول منه"، ويقول الرب في حديثه عن الإفخارســـتيا: «هذا هو الخُبزُ الّذي نَزَلَ مِنَ السـماءِ. ليس كما أكلَ آباؤُكُمُ المَنَّ وماتوا. مَنْ يأكُلْ هذا الخُبزَ فإنَّهُ يَحيا إلَى الأبدِ» (يوحنا٦:٥٨).

وكانت الإفخارسـتيا في العصـر المسـيحي الأول تُقام في فجر الأحد، في التوقيت ذاته الذي قام فيه المسـيح من بين الأموات، وذلك بعد السـهر في الصـلاة والتسـبيح طوال الليل. بل ولعلنا نلاحظ أن الكنيســة اختارت

https://coptic-treasures.com

إنجيل القيامة (متى٢٨:١-٢٠؛ مرقس١٦:٢-٨؛ لوقا٢٤:١-١٢؛ يوحنا٢٠:١-١٨) ليقرأ في باكر الأحد على مدار أغلب أسابيع السنة. ونرتل في يوم الأحد «هذا هو اليوم الذي صنعه الرب، فلنفرح ولنبتهج فيه»... وهو بالمناسبة مزمور إنجيل قداس عيد القيامة.

وهكذا كانت تُقام الإفخارستيا كتعييد للقيامة يوم الأحد، ليس كذكرى تاريخية وإنما كاستحضار لجسد المسيح. ونقول في يوم الأحد «هذا هو اليوم (محدد) الذي صنعه الرب، فلنفرح ونبتهج فيه». إنه اليوم الذي تحرّرنا فيه من الموت، والأحد هو اليوم الذي قام فيه الرب من الاموات، ومن ثَمّ تُقام الإفخارستيا كل أحد مناسبة القيامة التي هي الحياة الجديدة. والأحد هو اليوم الرباني أو يوم الرب، تُقام فيه الإفخارستيا والتي هي العشاء الرباني، وفي القداس الالهي نقول: لأنه في كل مرة تأكلون من هذا الخبز وتشربون من هذه الكأس، تبشرون بموتي وتعترفون بقيامتي"، والتبشير بمعنى إعلان الحضور.

وفي معجزة إقامة افتيخوس والتي وضعتها الكنيسة في الأسبوع الثاني من الخمسين المقدسة، يقول القديس لوقا في سفر الأعمال: «وفي أوَّلِ الأُسبوعِ إذ كانَ التلاميذُ مُجتَمِعينَ ليَكسِروا خُبزًا (توزيع جسد الرب بحسب النص القبطي nouwik `evw])، خاطَبَهُمْ بولُسُ وهو مُزمِعٌ أنْ يَمضيَ في الغَدِ، وأطالَ الكلامَ إلَى نِصفِ اللَّيلِ» (أعمال٢٠:٧). كان القديس بولس

https://coptic-treasures.com

يعظ ولما سقط الشاب نزل وأقامه، ثم واصل الكلام حتى الفجر حيث أقام الإفخارستيا، وهنا نلاحظ ارتباط الافخارستيا بالقيامة من الأموات، وبتوقيت القيامة أي عند الفجر. القصة أيقونة إفخارستيا وقيامة وليست مجرد معجزة، فالخطية موت والتناول يعطي الحياة، الخطية نزف ودم المسيح هو الدم الذي يحيي، وفي هذه الأيقونة نرى نوم وموت لأفتيخوس، ثم حياة وقيامة له من خلال الإفخارستيا. ومن هنا نفهم لماذا يحرص أهل المحتضر على أن يحضر الكاهن ويناوله، حتى يضمنون مستقبله الأبدي.

بل أن هناك تقليد مسيحي قديم يفيد بأن مجيء الرب سوف يكون في منتصف ليل الأحد، ربما بالإشارة لمَثَل العذارى اللائي كن ينتظرن العريس والذي جاء في نصف الليل، مثلما يأتي من ناحية المشرق، فقد أشرق علينا في ميلاده وصعد من جهة المشرق وقال الملاك «سيأتي هكذا كما رأيتُموهُ مُنطَلِقًا إلَى السماءِ» (أعمال١: ١١).

https://coptic-treasures.com

فهرس الكتاب

صفحة

مقدمة ٨
آلام المسيح وآلامنا ١٠
إن كنا نتألم معه.. فلكي نتمجد معه أيضًا ١٥
التبعيات المرفوضة ١٩
السعف والأغصان والشعانين ٢٦
الصيارفة في الهيكل ٣١
تطهير الهيكل ٣٦
لا يُترَكُ ههنا حَجَرٌ علَى حَجَرٍ لا يُنقَضُ! ٤٢
أربعاء أيوب ٤٧
من هو الأعظم؟ ٥١
يَارَبُّ هُوَذَا هُنَا سَيْفَانِ ٥٥
ملخص (عبد رئيس الكهنة) ٥٩
صياح الديك وإنكار بطرس ٦٥
صياح الديك في حياتنا ٧٤
اللص الشمال ٨٥
انشق حجاب الهيكل ٩٣
المسيح ومراثي أرميا ٩٧
رشم علامة الصليب ١٠٦
مريم المجدلية ١١٥
لماذا رفض اليهود السيد المسيح؟ ١٢٣
ماذا نتعلم من هذه الأيام؟ ١٢٩
القيامة والإفخارستيا ١٣٣

https://coptic-treasures.com

أسبوع الآلام...

رغم التسمية المؤثرة للأسبوع، فهو في الحقيقة أسبوع الحسم أيضًا، وأسبوع الثراء، والأحداث الجسام، يهود ثائرون، وتلاميذ خائفون، ورؤساء لليهود حانقون متآمرون، وجنود عنفاء يلهون، وحاكم ذو يد مرتعشة، ومريمات أمينات؛ ووسط كل هذا يقف شاب نبيل هو الإله المتجسد، ينظر بألم إلى جميع هؤلاء الذين إليهم قد جاء وها هم يرفضونه بإصرار، كان قد سبق وقال لهم عند القبض عليه «هذِهِ ساعَتُكُمْ وسُلطانُ الظُّلمَةِ» (لوقا٢٢: ٥٣)، ولكن ولئلا يظنوا في أنفسهم أنهم قد أَمْلوا عليه إرادتهم، قال حاسمًا: «لِهذا قد أَتَيتُ إلَى العالَمِ» (يوحنا١٨: ٣٧). لقد جاء ليطلب ويخلّص ما قد هلك. إننا في هذه الأيام نتألم معه، وننظر إليه في حياء شديد، ونطلب إليه أن يصفح عنا، فقد خَلُصنا بآلامه وشُفينا بجلدته، نحن الذين اختطفنا لأنفسنا قضية الموت...

https://coptic-treasures.com